العدد ١٨ آب ٢٠٢٥
No. 18 – Ang 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

حفظ الدين والعقل(النهضة المعرفية) واولوية الانفاق العام

م. د. زينب سمير علي
مكان العمل: وزارة التربية / مديرية التربية الرصافة الثالثة

Preserving Religion and Reason (Cognitive Renaissance) and Prioritizing Public Spending

Assistant Professor Dr. Zainab Samir Ali
Workplace: Ministry of Education / Third Rusafa Education Directorate
zainabsameer513@gmail.com

المستخلص

في الإسلام، يُعتبر حفظ الدين والعقل من الضروريات الخمس التي تسعى الشريعة الإسلامية إلى تحقيقها. يُنظر إلى الدين على أنه أساس الحياة وسبب الوجود الإنساني، بينما يُعتبر العقل أداة أساسية لفهم الدين وعبادة الله. جاءت الشريعة الإسلامية لتنظيم حياة المسلم وتوجيهه نحو الخير والسعادة في الدنيا والآخرة. تعتبر الضرورة الأولى في حياة الإنسان، حيث يُبذل كل ما في وسعه لحمايته، حتى النفس. يتحقق حفظ الدين من خلال الإيمان، والعبادات، والعمل الصالح، والبعد عن كل ما ينافي الدين. يعد العقل من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وهو أداة التفكير والتمييز. حفظ العقل يعني حمايته من كل ما يفسده ويضعفه، مثل الخمر والمخدرات. تضمن الشريعة الإسلامية سلامة العقل وحيويته من خلال التشريعات التي تمنع تعاطي ما يضر به. يرتبط الدين والعقل ارتباطًا وثيقًا، حيث أن العقل السليم هو الذي يدرك أهمية الدين ويقبل به. يسعى الدين إلى تنظيم حياة الإنسان وتوجيهه نحو الخير، بينما يستخدم العقل لفهم الدين وتطبيقه في الحياة. بالتالي، فإن حفظ الدين والعقل معًا يضمنان للإنسان حياة سعيدة ومستقرة في الدنيا والآخرة.

كلمات مفتاحية:حفظ الدين، النهضة المعرفية،اولوية الاتفاق

Preserving Religion and Reason (Cognitive Renaissance) and Priority of Public Spending

Abstract

In Islam, preserving religion and reason are among the five necessities that Islamic law seeks to achieve. Religion is viewed as the foundation of life and the reason for human existence, while reason is considered an essential tool for understanding religion and worshipping God. Islamic law was established to regulate the life of Muslims and guide them toward goodness and happiness in this world and the hereafter. It is considered the primary necessity in human life, and every effort is made to protect it, even the self. Preserving religion is achieved through faith, worship, good deeds, and avoiding everything that contradicts religion. The mind is one of the greatest blessings God has bestowed upon humanity, and it is the tool for thinking and discernment. Preserving the

mind means protecting it from everything that corrupts and weakens it, such as alcohol and drugs. Islamic law ensures the health and vitality of the mind through legislation that prohibits the use of harmful substances. Religion and reason are closely linked, as a sound mind is one that recognizes and accepts the importance of religion. Religion seeks to regulate human life and guide it toward goodness, while reason is used to understand religion and apply it to life. Therefore, preserving religion and reason together guarantees a person a happy and stable life in this world and the hereafter.

Keywords: Preserving religion, cognitive renaissance, priority of agreement

مقدمة

دور الدولة في التربية الدينية لفهم علاقة الدولة بالتربية في الإسلام ينبغي منذ البداية أن تذكر أن الإسلام دين ودولة. وهو بهذا يحتل مكانة متميزة بين الديانات السماوية الأخرى. ومنذ العصور الأولى للإسلام كانت السلطة الدينية والمدنية تتمثل في شخص واحد هو أمير المؤمنين فهو إمامهم وحاكمهم العادل، وعلى الرغم من التطور الذي حدث للإسلام فيما بعد فما زال حاكم المسلمين راعياً ومسئولاً عن مصالحهم الدينية والدنيوية على السواء.

وهكذا يتضح الدور الهام الذي يلعبه حاكم المسلمين في تصريف شؤون الرعية من القيام بالرعاية لمصالحهم الدينية والدنيوية ؛ ومنها بالطبع ما يتعلق بالتربية والتعليم والبدئ بالعلوم والمعارف الضرورية؛ من توحيد الخالق سبحانه وتعالى وفقه الواجبات الدينية بما يحقق الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

وكل ما سبق يحتاج الى نفقات كبيرة يتوجب على الدولة القيام بها ، ولما كانت هذه النفقات موجهه لحفظ الدين كانت لها الأولوية، تحقيقاً لمقصد حفظ الدين في حياة المسلمين.

حفظ العقل هو الكلية المقاصدية الشرعية الثالثة التي أقرها الإسلام، وأثبتها في كثير من المواضع والمواطن. ويكفي العقل مكانةً؛ أن جعل أحد مقاصد الشريعة الغراء، وميدانها الأساسي، فهو المخاطب بأحكامها وفي تفسير معانيها، والإيضاح والبيان لمضامينها، والاستنباط لمدلولاتها، وفي الإجتهاد والتجديد عليه اعتمادها.

ومن اهتمامها بالعقل إضافة الى ذلك، أن جعلته شرطًا في التكليف فهماً وتنزيلا، ومناطاً في التعامل مع أحوال النفس والكون اكتشافا لأسرارهما واستنباطاً لقوانينهما والاستفادة من خيراتهما، وقد أمر الله عز وجل الإنسان بالتفكير والتدبر والتأمل وميزه بذلك عن كثير من المخلوقات، كما أثنى الله سبحانه وتعالى، على أصحاب العقول السليمة من المجتهدين والمفكرين والمتدبرين.

وكل هذا دليل على مكانة العقل في الإسلام، ودوره الملحوظ في فهم الأحكام واستنباطها وتطبيقها. كما أن الإسلام قد حفظ العقل واهتم به من خلال منع ما يُعيقه ويُعطله. ومنع كل ما يُغيب لعقل عن دوره في التكفير والتدبر . كذلك نهى عن بقاء الجهل وانتشار الأمية، وأمر بطلب العلم ونشره وتعميمه؛ لأن بقاء العقل معطلا بالجهل أو الأمية أو غيرها يُعد من أسوء حالات العقل وأفسد سماته وعواقبه، وهذا ما لا يريده الإسلام لكل من اهتدى بنورة وسار على دربه.

ولما للعقل من أهمية كانت هناك حاجة ماسة لحفظ العقل البشري من وسائل الهلاك والدمار التي تواجهه من خلال وسائل مختلفة، وفي جوانب متعددة، تهوي به في الاتكالية على جهود الآخرين، أو تعطله عن مهامه بإشغاله فيما يضره ولا ينفعه، كانشغال الإنسان بالباطل عن الحق، وبالضار عن النافع، وبالمفضول عن الفاضل، مما يجعل المهام الملقاة على كاهل التربية ضخمة المسؤولية، من خلال المسجد والمدرسة والمنزل، والهيئات التربوية الأخرى.

المبحث الاول:حفظ الدين

١. حفظ الدين بتعليمه ورعاية العلماء والمؤسسات الدينية وأولوية الإنفاق فيه.

أ. حفظ الدين بتعليم العلوم الدينية ورعاية العلماء:

يعتبر فقهاء المسلمين أن أوجب حق من حقوق الأمة على الخليفة هو : نشر العلوم الشرعية وتعظيم العلم وأهله ورفع مناره ومحله ومخالطة العلماء الأعلام النصحاء لدين الإسلام [١] . وهذا يعني أن على الدولة في الإسلام مسؤولية تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم، ونشر العلوم والمعارف الضرورية، ورعاية العلماء وطلاب العلم، وتعظيم العلم والإعلاء من شأنه. وقد كانت الدولة في صدر الإسلام بالفعل تخصص نفقات لدور العلم ... وكانت الدولة هي التي تنشئ المساجد وتساعد العلماء القائمين بالتدريس فيها لكن بصورة منظمة، كما أن الدولة أيضاً كانت تقوم ببناء المكتبات ولأربطة، وكلها كانت تقوم بخدمات تثقيفية وتعليمية[٢].

إهتمام الأمراء بالعلماء وتقريبهم عبر التاريخ: سنذكر ما كان عليه الأمراء بعد الخلفاء الراشدين؛ إذ كانوا هم علماء أعلام عظام. فعلى سبيل المثال الخليفة هارون الرشيد، الذي أصبحت بغداد في عهده قبلة رجال العلم والأدب، وكان هو نفسه من أفاضل العلماء وفصحائهم ... يقول عبد الله ابن المبارك: فما رأيتُ عالماً ولا قارئاً للقرآن، ولا سابقاً بالخيرات ولا حافظاً للحرمات في أيام بعد أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، وأيام الخلفاء الراشدين والصحابة، إلا زمن الرشيد وأيامه، فلقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثماني سنين، ويستبحر في الفقه والعلم، ويروي الحديث، ويناظر العلماء وهو ابن احد عشرة سنة، ولم يكن ذلك إلا بكثرة إنفاقه، واهتمامه بالعلم والعلماء وطلابه منذ الصغر[٣].

واشتهر المأمون بشغفه وحبه للعلم ورعايته لأهله، وليس أدل على ذلك من قوله: قد يسمي بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم. ولو قلت: أن العلم لا يُدرك غوره، ولا يُسبر قعره، ولا تبلغ غايته، ولا يستقصى أصنافه، ولا يضبط آخره، فالأمر على ما قلت، فإذا فعلت ذاك، كان عدلاً وقولاً صدقاً[٤]. واتسم المأمون باحترام وتبجيل العلماء وإكرام منازلهم، فضلاً عن مناظرتهم، فقد كان يجلس لمناظرة العلماء والفقهاء يوم الثلاثاء من كل أسبوع.

---

(١) أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر، (٣) ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م، ص ٦٥.

(٢) انظر : التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية عالم الكتب، طبع ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م، (د، ت) ص ٩٢، ٩٥.

(٣) دراسة لمجموعة من الباحثين المعطيات الحضارية لهجرة الكفاءات، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، كتاب الأمة، العدد (١٥٦) السنة (٣٣) رجب ١٤٣٤هـ (١) ص ١٠٦؛ وانظر : تأريخ الخلفاء ابن قتيبة الدينوري ٢/١٥٧.

(٤) الأندلسي أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد بن عبدربه المعروف بابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١) ١٤٠٤هـ ، ٢/٧٧.

وكان الخليفة الواثق بالله محباً للعلم مكرماً لأهله، مشرفاً على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر . وكذلك الخليفة المعتضد بالله الذي اشتهر باحترام العلماء وتقريبهم وجزل العطايا لهم. كذلك لم يسمع الأمير المعز بن باديس أحد أمراء دولة الصنهاجيين في المغرب الإسلامي بعالم جليل في أي مصر من الأمصار إلا وأحضره عنده وبالغ في إكرامه ومنحه أسمى الرتب وجعله من خاصته. وأكرمت الخلافة العثمانية علماءها، وذلك بعد أن عقدة العزم ونجحت في جمع شتاتهم من كل الأمصار ، ثم وفرة لهم كل سبل الرعاية، الأمر الذي أدى إلى ازدهار الحركة العلمية والفكرية، وانعكس على تقدم الدولة وتطورها وجعل منها القوة الأولى في العالم، وتحقق لها بذلك صلاح في دينها ودنياها والاهتمام بالعلماء ورعايتهم؛ إنما هو اهتمام بالدين وحفظه ورعايته، لأنهم ورثت الأنبياء، فالعلماء هم أوعيته وحملته، فهم للإمة كالنجوم للسماء حفظاً وهداية. لذلك كان واجباً على الدولة بل من أول واجباتها، حفظ دين الأمة بتعليم العلوم الدينية الضرورية ورعاية العلماء وطلاب العلم كما سبق بيانه، سعياً منها لتحقيق الكفاية في ذلك. كما عليها تشييد المؤسسات الدينية لتقوم بدورها في تعليم العلوم الدينية وتبصير عامة الناس بدينهم.

ما يجب أن يكون عليه الولاة من العلم يوصي الماوردي رحمه الله الملوك ولاة الأمر بالعلم؛ أن يكونوا من أهله وممن يُعرفون به كما يلزمهم بتقريب العلماء ومجالستهم، ويقول: "فأما العلم فينبغي للملك أن يعرف فضله ويستنبط أهله ليكون بالعلم موسوماً وإليه منسوباً فإن الإنسان موسوم بسيماء من قاربه ومنسوب إليه أفاعيل من صاحبه[٥]. ويقول أيضاً: "أما العلم فينبغي للملك أن يعرف فضله ويستنبط أهله لأنهم للدين أركان، وللشرع أعوان والدين أساس الملك ونظامه، وقد قاموا فيه بحقه ونابوا عن الملك في حفظه ولولاهم لما عرف حق أمر من باطله ولا صحة حكم من فاسده فليحفظ الملك نظام حكمه بمراعاتهم وليستظهر لدينه باستبطانهم ليكون بالعلم موسوماً وإليه منسوباً[٦].

ب. حفظ الدين ببناء مؤسساته ورعايتها:

١. بناء المساجد والنفقة عليها ولما كان من لوازم حفظ الدين بناء المؤسسات الدينية وعلى رأسها المسجد، إذ يعد المسجد المؤسسة الأولى في بناء الدولة الإسلامية في عهد النبوة، كما، شكل بناء المسجد واحداً من أهم الأهداف والمشروعات الاستراتيجية في هذه المرحلة، ولذي تبنى عليه الأهداف الأخرى، إذ بنجاحه في أداء دوره تتحقق الأهداف الأخرى، ويُمثل أولوية كبيرة، لأنه مقر الدولة الأول، وفيه ممارسة أنواع المهام الإدارية والقيادية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم[٧]. فبعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، بنا مسجده في مدة لا تتجاوز اثني عشرة ليلة[٨].

وقد شهد العصر الأموي اهتماماً واسعاً ببناء المساجد، ومن ذلك بناء زياد بن ابيه، والي العراق لسبعة مساجد في إقليم العراق ، كما ورد أن كل مسجد بالبصرة ذي رحبة مستديرة هو من بناء زياد، وقام عبد الملك ببناء مسجد القبة على صخرة بيت المقدس وخصص لذلك ميزانية عظيمة [٩] ، هذا فضلاً عن ترميمه مسجد قيسارية [١٠]، وقام كذلك ببناء الجامع الأموي بدمشق وأعظم عليه النفقة واستعان في بنائه بصناع من بلاد الروم. وعلى وجه العموم يمكن القول بأن معظم المساجد التي بنيت في الجانب الشرقي من

(٥) أبو الحسن الماوردي، دور السلوك في سياسة الملوك، دار الوطن، الرياض (د، ط) (د، ت) ص ١١٩.
(٦) الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملوك، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط) (د، ت) ص ٢٧٤ .
(٧) د. حسين الجعفري، التخطيط المستقبلي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، دار النشر للجامعات، صنعاء (ط١)٢٠١٢م، ص ٩٩، ١٠٠.
(٨) ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر ، لبنان، ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م (د، ط) ٢/٢٨٠.
(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/٢٨٠
(١٠) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٣ ٦٧٦؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ٩/٧٤.

الدولة الإسلامية تعود للعصر الأموي، كما بنيت العديد من المساجد في شمال أفريقيا والتي منها جامع الزيتونة بتونس[١١]. وكان الوليد بن عبد الملك كما سبق، هو الذي أعاد بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وبنى مسجد دمشق وأنفق على مسجد دمشق أحد عشر ألف ألف مثقال ونيفاً ، وقيل : أنفق عليه خراج الدنيا ثلاث دفعات[١٢].

وما كان كل هذا الاهتمام بالمسجد إلا لأنه يمثل مقر إدارة مؤسسات الدولة المتنوعة الدينية والإجتماعية، والعسكرية، وكان مع هذا يسكنه عدد كبير من فقراء المسلمين الذين لم يكن لهم دار ولا مال ولا أهل ولابنون. لقد كان المسجد هو الخلية الأولى للبناء الاجتماعي للأسرة والجماعة، بوصفه أداة صهر المؤمنين بالإسلام في وحدة فكرية واحدة من خلال حلقات العلم والقضاء والعبادة ... فلم يكن المسجد مقراً للصلاة وحدها، بل كان شأنه شأن الإسلام نفسه متكاملاً في مختلف جوانبه الدينية والسياسية والإجتماعية[١٣]. وللمكانة التي شرف بها المسجد في الإسلام، لما له من أدوار عظيمة الأثر في حياة المسلمين، سواء في الحياة الدينية والاجتماعية والإدارية، كان وجوده في المجتمع المسلم ضرورة دينية لحفظ الدين من خلال قيام المسجد برسالته، وضرورة دنيوية لصلاحها بصلاح الدين وحفظه، وسياستها به. وقد استمرت المساجد تؤدي هذا الدور العظيم قرونا طويلة من الزمن، حتى أصبحت الأمة الإسلامية اليوم في مرحلة الغثائية الهزيلة الطافية.

من الداخل، وتكالب قوى الشر والطغيان والغزو عليها من الخارج، ضعف دور المسجد وانحسر مده ونضب نبعه أو كاد في كثير من بلدان الإسلام[١٤].

العلماء هم من يقوم برسالة المسجد ومكانتهم مرتبطة به ولما كان العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء إنما ورثوا العلم فحمله العلماء عنهم، كانت للعلماء مكانتهم المنبثقة منه وفي هذا قيل: "إن المكانة التي ينالها العلماء بين صفوف المسلمين لا تعدلها مكانة أبداً، وإن عناية المسلمين بتسجيل دقائق حياة علمائهم مشهورة ومشهودة، تشهد بها آلاف كتب التراجم والطبقات التي حفظت هذا المقدار الهائل من أسماء العلماء على مدار العصور، وعلى اختلاف مناحي المعرفة. وسبب ذلك أن النظرة إلى العلم والعلماء قضية داخلة في صلب العقيدة الدينية[١٥].

وميدان العلماء الأول هو المسجد والقيام برسالة المسجد من تعليم وتربية؛ بل تكاد تكون مهمتهم الأساسية. وإذا كان التعليم في المدارس والكتاتيب من نصيب الصبيان والشباب، فإن للعامة نصيباً وافراً من التعليم في المساجد ويبرز الشيخ بن باديس الدور الإيجابي الذي تؤديه المساجد في تعليم وتثقيف العامة، فيقول: "وإذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم، فإن العامة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر، وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر، صحيحة العقيدة، بصيرة بالدين، فتكتمل هي في نفوسها، ولا تهمل تعليم أبنائها، وهكذا ينتشر التعليم في الأمة ويكثر طلابه من أبنائها ... أما إذا خلت المساجد من

(١١) أنظر : نجدة خماش الإدارة في العصر الأموي، ص ١٦٠ ؛ وعصام الجعفري: التطور الاقتصادي في العصر الأموي رسالة ماجستير في الاقتصاد، جامعة أم القرى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ٢٣١.
(١٢) ابن الضياء تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام موقع الوراق ، http://www.alwarrag.com ، ص ١٤٠.
(١٣) نور الجنيد الإسلام وحركة التاريخ، مطبعة الرسالة، القاهرة (د، ط) (د، ت) ص ٣٢ .
(١٤) أ. د. صالح بن غانم السدلان الأثر التربوي للمسجد، موقع وزارة الأوقاف السعودية، بدون بيانات، ص ٦ .
(١٥) محمة العلماء، افتتاحية، مجلة البيان، العدد (٤) السنة (الأولى) جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م ص ٤ - ١٠.

الدروس، كما هو حالنا اليوم في الغالب، فإن العامة تعمى عن العلم والدين، وتنقطع علاقتها به، وتبرد حرارة شوقها إليه، وتمسي والدين فيها غريب[١٦].

وفي سبيل قيام المسجد برسالته أنفقت النفقات وأوقفت الأوقاف العظيمة، والمتتبع لتاريخ أسلافنا . رحمهم الله . يُدرك الأهمية التي أعطيت لهذا النوع من التعليم، فقد بذلوا الأموال وحبسوا الأحباس؛ لضمان استمرار المسجد في تأدية رسالته التعليمية والتربوية [١٧] .

وكل ما أنفق من مال من أجل قيام المسجد برسالته، إنما هو إنفاق في سبيل حفظ الدين، ولما كان الدين أول مقاصد الشريعة؛ كان الإنفاق في سبيل حفظ الدين والتمكين له في العالمين، من أوجب واجبات الإنفاق العام، وعلى رأس أولوياته، لذلك لزم الحكومة تنظيم شأن التعليم الديني والعناية بالأوقاف الخاصة به، وتسخير كل ما من شأنه نشر العلوم والمعارف الدينية في الأمة، حفظاً للدين وتحقيقاً لمقاصد الشرع المبين.

٢. بناء المؤسسات التعليمية والعلمية: لم يقتصر الأمر على بناء وتشييد المساجد لتقوم برسالتها التعليمية؛ وإنما تجاوزها إلى بناء وتشييد المدارس الدينية، والمكتبات الكبيرة، وصولاً الى تشييد الجامعات الجامعة لشتى العلوم والمعارف. قال ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة إحدى وثلاثين وستمائة وفيها كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد لم يُبنى مدرسة قبلها مثلها ، ووقفت هذه المدرسة على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيها، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث وقارئان وعشرة مستمعين، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد... إلى أن قال ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها ، وجودة الكتب الموقوفة بها[١٨].

وفي زمن الرشيد لم يقتصر اهتمام هارون الرشيد بالعلم والعلماء، بل تجاوز ذلك حيث كان من اهتماماته إنشاء وتشييد المؤسسات التعليمية والعلمية، فقد وضع الأساس لبيت الحكمة في بغداد لتكون أول دار عامة تجمع شتات العلماء وتجري عليهم أرزاقهم. ثم جاء الخليفة المأمون وأكمل بناء الدار ووسعها ، وبذل كل ما في وسعه لاقتناء نفائس الكتب المعروفة وقتئذ. وزادت رعاية المأمون لبيت الحكمة حتى صارت باعتراف الغربيين أول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الإسلامي، وأول جامعة إسلامية يجتمع فيها العلماء للبحث والدرس.

وقد أنشأ الخليفة الموحدي الثالث المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بيت الطلبة للنابغين وتولى الإشراف عليه بنفسه إلى الدرجة التي معها، حسد بعض حاشيته هؤلاء الطلاب على تقريبه إياهم وخلوته بهم[١٩].

ج. الإنفاق العام على التعليم الديني:

عد أهل العلم من المصالح العامة تعليم أبناء المسلمين، ولذا أوجبوا كفاية المعلمين من المال العام، قال ابن جماعة وللسلطان أن يُعطي من الفيء لمن في عطائه مصلحة عامة، كالرسل، والقضاة والعلماء، والمفتين،

---

(١٦) عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى محمد حميد اتو وزارة الأوقاف، قطر، كتاب الأمة العدد (٥٧) (١) ١٤١٨هـ ، ص ١٦٢.
(١٧) انظر : من قضايا التربية الدينية في المجتمع المسلم، ص ١٨٣.
(١٨) ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، (ط١) ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م، ١٣/١٦٣.
(١٩) المعطيات الحضارية لهجرة الكفاءات، ص ١١٤ .

ومعلمي القرآن والعلم[٢٠]. وقال الرملي ويُرزق ... كل من في عمله مصلحة عامة للمسلمين، كمعلم القرآن وغيره من العلوم الشرعية[٢١]. وجعل السرخسي من مصالح المسلمين التي يلزم الإنفاق عليها من بيت المال أرزاق القضاة والمفتين والمحتسبين والمعلمين ... [٢٢]. وهذا الإلتزام بالإنفاق من المال العام ليس بموقوف على تعليم العلوم الشرعية، بل كذلك للعلوم الدنيوية حظاً منه؛ لأنه لا غنى للمسلمين عن هذه العلوم ، وهي من القوة التي أمروا بإعدادها ، فما كان بهذه المثابة، فالإنفاق عليه من المال العام واجب، ولذا لم ينحصر وجوب الرزق بمعلمي العلوم الشرعية، بل شمل معلمي العلوم الدنيوية، فقد ذكر الغزالي أن من جملة مستحقي الرزق، معلوم العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد[٢٣]. وقال الكتاني: يجب كفاية هؤلاء[٢٤] ومن في معناهم من بيت المال[٢٥].

ولقد كان الإنفاق على التعليم والمعلمين من بيت المال سيرة الأئمة المهديين، فقد بعث عمر بن عبد العزيز، يزيد بن مالك الدمشقي، والحارث بن يمجد الأشعري، يفقهان الناس في البدو، وأجرى عليهما رزقاً[٢٦].

وثبت بالأدلة أن مقصد الشرع من إيجاب إقامة الدولة الإسلامية بسط سلطانها على الأرض، ولا يتحقق هذا المقصد إلا أن تكون الدولة قوية، ولا يمكن أن تتصف الدولة بالقوة إلا إذا كان أفرادها يتلقون أعلى مستويات التعليم - لدينهم ودنياهم - فإذا كان التعليم سبيل قوة الدولة كان من جملة واجباتها، وإذا كان كذلك فيلزم الإنفاق عليه من المال العام.

فإذا ثبت هذا، فإن من ضمن هذه المسؤولية الإنفاق على المتعلمين، متى اتسع بيت المال لذلك، حيث أن المتعلم يُساهم في كفاية المسلمين في المجال الذي اختص به، فوجب إعانته بالنفقة؛ ليتفرغ للطلب.

٢. حفظ الدين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولوية الإنفاق فيه.

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الدين: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذا أهمية بالغة في حياة الأمم والشعوب؛ وفي سلامة سيرها إلى الله عزوجل، وعليه يعتمد في تقويم وتصحيح مسار الأمة من الإنحراف والزلل. فدين الله أمر ونهي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمثابة التطبيق العملي للدين في حياة المسلمين، فعليه الإعتماد - بعد الله وعونه وتوفيقه - في حفظ الدين في حياة المسلمين ودفع كل الشوائب والأباطيل والشبهات عنه.

وفي هذا يقول ابن تيمية: وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، ولهذا نعت الله عز وجل النبي والمؤمنين وامتدحهم بقوله: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) [التوبة: ٧١]. وهذا واجب على كل مسلم قادر ، وهو فرض على الكفاية ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره، والقدرة هي السلطان والولاية، فذوو السلطان أقدر من غيرهم، وعليهم من

(٢٠) ابن جماعة تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص ١٠٠.
(٢١) الرملي شمس الدين محمد، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط ٣) ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ٨/٢٥٢.
(٢٢) السرخسي، المبسوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (د، ط) ٣/١٨ .
(٢٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٢/١٣٨ .
(٢٤) يعني من يعملون عملاً عاماً مثل التدريس والقضاء.
(٢٥) الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر، دار الكتاب العربي، (د، ط) (د، ت) ١/٢٦٦.
(٢٦) خالد الماجد، التصرف في المال العام وحدود السلطة في حق الأمة، ص ٩١ ؛ ابن سلام، الأموال، ص ٢٧٥-٢٧٦.

الوجوب ما ليس على غيرهم، فإن مناط الوجوب هو القدرة؛ فيجب على كل إنسان بحسب قدرته، قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن : ١٦] . وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢٧].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولاية من الولايات التي أسند أمر القيام بها إلى ولاة الأمر في الأمة. لذلك كان القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقهم أوجب من غيرهم كونهم مطاعين، ولتوفر القدرة لديهم، وفي ذات السياق يقول بن تيمية: وأصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولوا الأمر صنفان العلماء، والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس ... ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان، وكل من كان متبوعاً فإنه من أولي الأمر، وعلى كل واحد من هؤلاء أن يأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى الله عنه، وعلى كل واحد ممن عليه طاعته أن يُطيعه في طاعة الله، ولا يطيعه في معصية الله [٢٨] .

تعين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الحاكم أو الدولة وحفظ الدين لا يتم إلا بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك تعين على الوالي والسلطان القيام به، وإسناد أمره إلى من يقوم به من أهل العلم والدعوة والإرشاد. بل وصل الأمر بالماوردي أن جعل حفظ الدين على رأس مهام الخليفة ومسؤولياته، وجعله أول واجب من واجباته وقال: "حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل[٢٩]. ولتأكيد وجوبه في حق الإمام، أن جعل الغاية من تنصيبه خليفة للمسلمين؛ إنما هو قيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: "وولي الأمر إنما نصب ليأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية. فإذا كان الوالي يمكن من المنكر بمال يأخذه، كان قد أتى بضد المقصود، مثل من نصبته ليعينك على عدوك، فأعان عدوك عليك[٣٠].

ويقول ابن تيمية: ويجب على أولي الأمر : وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر[٣١] . وما كان ليتعين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ولي الأمر أو الدولة المسلمة، ويُصبح من واجباتها الأساسية؛ إلا لما يترتب على القيام به من نفع عظيم ومصالح متعددة. إن من واجبات الدولة المسلمة العمل على إحياء هذه الشعبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعداد من يقوم عليها فقهاً وخلقاً، وتفرغاً، واحتساباً لوجه الله تعالى. بل إن الدولة تقوم بإنشاء هيئة خاصة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها مؤسساتها ونظمها وقوانينها ولوائحها ، تقوم هذه الهيئة بإلزام الناس بمنهج الإسلام في الحياة وتقف الحكومة من وراء هذه الهيئة وتدعمها، ويدخل تحت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إقامة الحدود، وجلب المصالح، وإحياء الأخلاق الكريمة[٣٢]. وقد أوجب الله على الحكومة والأفراد القيام بواجب الأمر والنهي، لأن في ذلك إقامة أمر الله وهدم كل ما يخالف الإسلام، ومن أهم واجبات الدولة . كما ذكر الماوردي وغيره . إقامة الإسلام بالقضاء على الشرك

---

(٢٧) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام أو وظائف الحكومة الإسلامية، ص ١١.
(٢٨) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (١) ١٤١٨هـ . ص ٥٣ .
(٢٩) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٤٠ .
(٣٠) ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ، (١) ١٤١٨هـ ، ص ٥٨.
(٣١) ابن تيمية الاستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، (١) ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩، ١٩٢
(٣٢) الصلابي، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، ص ٥٧٣.

ومظاهره، والتمكين لدين الله الحنيف [٣٣] . كما يتوقف قيام الدولة واستقامتها وصلاحها على القيام به. وكما أن صلاح العباد يتوقف على القيام به[٣٤].

ولوجوبه على ولي الأمر والدولة كان لهم الحق في إسناده إلى من يقوم به نيابة عنهم، وذلك ممن لهم القدرة على القيام بهذا الواجب، كالعلماء وطلاب العلم والدعاة، ويكون من واجب ولي الأمر والدولة إسنادهم بكل ما يلزم من إمكانات مادية، ورعاية شاملة لهم ولمن يعولون، كون الوجوب قد صار في حقهم متعيناً. حيث قد أجمع العلماء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين في أحوال عديدة ومنها يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على من تعينه الدولة الإسلامية للقيام به، يقول النيسابوري: وإن نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب [٣٥].

تعين الأمر بالمعروف على الحاكم لا يعفي الأفراد عن القيام به وهذا لا يعفي أفراد الأمة عن القيام بهذا الواجب؛ بإسناد أمر القيام به إلى الحاكم أو من يعينه لذلك، حيث قد يتعين في موطن ما ؛ وخاصة إذا كان المعروف في موضع تطمس معالمه والمنكر يقترف فيه، ولا يعرف ذلك إلا رجل واحد تعين عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الإمام النووي: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ثم إنه قد يتعين إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو[٣٦]. ويقول ابن تيمية وكذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : لا يجب على كل احد بعينه، بل هو على الكفاية كما دل علية القرآن. ولما كان الجهاد من تمام ذلك، كان الجهاد أيضاً كذلك. فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه، أثم كل قادر بحسب قدرته؛ إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته. وذا كان كذلك، فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد، هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به[٣٧]. ويقول الماوردي: إن فرضه متعين على المحتسب بحكم الولاية، وفرضه على غيره داخل في فروض الكفاية[٣٨]. وكذلك إذا كان لأحد القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يقوم به غيره فهو فرض عين عليه، وفي هذا يقول بن تيمية: وهو فرض كفاية ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره. [٣٩]

كما يتعين على المدير في إدارته، والصانع في صنعته، وأصحاب المهن في مهنهم، وعلى جميع مؤسسات القطاع الخاص التي تتمتع باستقلال في الإدارة وبعيدة عن الرقابة الخارجية، حتى على الرجل في أسرته وفي هذا يقول النووي: " ثم إنه قد يتعين إذا كان لا يمكن إزالته إلا هو، كمن يرى زوجته وأولاده على منكر أو تقصير في معروف[٤٠]. ويتعين أيضاً إذا احتاج الأمر والنهي إلى جدال ومناقشة واحتجاج، كان فرض عين على كل من يصلح لذلك، يقول بن عربي المالكي: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية. وقد يكون فرض عين إذا عرف المرء من نفسه صلاحية النظر والاستقلال بالجدال أو عرف ذلك منه[٤١]. وإذا كثرة المنكرات وقل الدعاة، يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على

([٣٣]) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر ، دمشق (ط) (د، ت) ٨/٦٣٧٠ .
([٣٤]) عبد العزيز الراجحي، القول البين الأظهر في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مكتبة دار السلام (ط١) ١٤١٢هـ ، ص ١٣.
([٣٥]) نظام الدين النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١) ١٤١٦هـ ٢/٢٢٧.
([٣٦]) النووي، شرح صحيح مسلم، ٢/ ٢٣ .
([٣٧]) ابن تيمية الاستقامة، ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩ .
ابن تيمية الحسبة في الإسلام، ص ٣٧ .
([٣٨]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٤٠.
([٣٩]) ابن تيمية الحسبة في الإسلام، ص ٣٧ .
([٤٠]) الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، ٢/٢٣.
([٤١]) أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن المطبعة البهية القاهرة، (د، ط) (د، ت) ١/١٢٢ .

كل أحد وفي هذا قيل : فعند قلة الدعاة وعند كثرة المذكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا ليوم تكون الدعوة فرض عين على كل أحد حسب طاقته[٤٢].

الإنفاق العام على الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لابد لمعرفة مسؤولية الدولة عن الإنفاق على الدعوة من التعرف إلى مسؤوليتها عن الدعوة إلى الله ذاتها، إذ وجوب الإنفاق عليها فرع عن ثبوت مسؤولية القيام بها. ويمكن بيان مسؤولية الدولة عن الدعوة إلى الله، بالإضافة إلى ما سبق بيانه، وإجمال ذلك فيما يلي:

أولاً: ثبتت مسؤولية الدولة عن الدعوة إلى الله بالكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله عز وجل: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ) [آل عمران : ١٠٤] حيث دلت الآية على أن الدعوة إلى الله فرض كفاية على المسلمين، وللدولة من مسؤولية القيام بهذا الفرض نصيب، بل إنها أولى من قام بذلك؛ لأنها تملك من القدرة ما لا يملكه الأفراد. ومن السنة فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الواجب، بل لقد كانت هذه وظيفته صلى الله عليه وسلم، وسلك في ذلك سبلاً عديدة، منها: بعث الدعاة إلى الأمصار، وبعث الكتب والرسل إلى الملوك والقبائل يدعوهم إلى الإسلام[٤٣].

ثانياً: ثبت وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الجهاد في سبيل الله على الدولة المسلمة، والدعوة إلى الله مرتبطة بالجهاد في سبيل الله ارتباط وثيق، بل هي نوع من أنواعه[٤٤]. فهذه الثلاثة . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والدعوة . وسائل لتحقيق المقصود من إقامة الدولة المسلمة، وهو حفظ الدين وسياسة الدنيا به.

ثالثاً: اتفق أهل العلم على أن مقصود الولاية الأهم حفظ الدين، قال بن تيمية: "المقصود الواجب بالولايات إصلاح دين الخلق[٤٥]. وقال الشوكاني: "المقصود للشارع من نصب الأئمة ... أمران، أولهما وأهمهما إقامة منار الدين، وتثبيت العباد على صراطه المستقيم[٤٦]. ولذا جعل أهل العلم القيام بالدين وحفظه من واجبات ولي الأمر، بل جعلوه أول واجب عليه، فالماوردي حين عدد واجبات ولي الأمر في ولايته كان أول واجب ذكره هو : "حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة [٤٧] . فإذا اتضح هذا، فمعلوم أن كل مقصود لا بد له من وسائل تحققه، والدعوة إلى الله وسيلة مهمة من وسائل حفظ الدين والقيام به.

وحيث ثبتت مسؤولية الدولة عن الدعوة إلى الله ثبت تبعاً لذلك وجوب الإنفاق عليها من المال العام؛ إذ الدعوة تحتاج إلى المال للقيام بالمشاريع الدعوية، مثل بناء المساجد والمدارس والمراكز الدعوية ولتوفير وسائل الدعوة، مثل طبع الكتب وتوزيعها وبعث الدعاة.

(٤٢) ابن باز الدعوة إلى الله، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ (د، ط) ص ١٦.
(٤٣) أنظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر ، ٧/٧٣٢ .
(٤٤) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد دار الفكر : بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م،(د، ط) ١ / ٣٤١ .
(٤٥) ابن تيمية السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، ص ٢٩ .
(٤٦) الشوكاني : السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ٣/٣٣١.
(٤٧) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٥١ .

فلا قيام للدعوة من دون إنفاق، ولما كان المال المعد للمصالح العامة، وكانت الدعوة إلى الله من مصالح المسلمين الدينية، وجب الإنفاق منه عليها[٤٨].

٣. حفظ الدين بإعداد العدة اللازمة للدفاع عنه وأولوية الإنفاق العام فيها.

أ. جوانب الاعداد المطلوبة على المستوى العام والدولة:

١. الجانب الروحي ولإيماني: جاء الإسلام وأعاد بناء الشخصية المسلمة بناءً ربانياً من خلال تجذير الإيمان وتأصيله في قلوب كافة أتباعه، ومن خلال البناء العقدي بتمحيض الولاء وتخليصه الله ولرسوله وللمؤمنين، ورسم قواعد المحبة والبغض، واللين والشدة والرحمة، وقواعد الأخلاق والسلوك، والتعامل البيني ومع الآخر. وكل ما سبق جعل من المسلمين جيلاً ربانياً وإيماني، يحمل معاني التأثير والتغيير في محيطه وبيئته، كما تفوق على غيره من المجتمعات بما يحمله من روح إيمانية ورسالة متفوقة.

ولقد كان التفوق الحقيقي للمجتمع المسلم على المجتمعات الجاهلية من حوله - بما فيها مجتمع اليهود القائم في قلب المدينة هو تفوقه في البناء الروحي والأخلاقي والاجتماعي والتنظيمي، بفضل المنهج القرآني الرباني، قبل أن يكون تفوقا عسكرياً أو اقتصادياً أو مادياً على العموم بل هو لم يكن قط تفوقاً عسكرياً واقتصادياً - مادياً - فقد كان أعداء المعسكر الإسلامي دائما أكثر عدداً، وأقوى عدة، وأغنى مالاً، وأوفر مقدرات مادية على العموم سواء في داخل الجزيرة العربية، أو خارجها في زمن الفتوحات الكبرى بعد ذلك. ولكن التفوق الحقيقي كان في ذلك البناء الروحي والأخلاقي والإجتماعي - ومن ثم السياسي والقيادي - الذي أسسه الإسلام بمنهجه الرباني المتفرد[٤٩]. وبعد الإعداد والبناء الروحي ولإيماني للأفراد؛ يأتي دور الإعداد المادي بذلاً للأسباب، وتوافقاً مع السنن الكونية الحاكمة لحياة البشرية والمتجسدة في سنة التدافع بين الحق والباطل، وقوى الخير وقوى الشر، ولذلك نجد أن الله قد أمر بهذا الإعداد في سبيل تحصيل القوة اللازمة للدفاع عن الدين والأوطان.

٢. جانب التخطيط والإدارة وتوافر الإمكانات: إن التخطيط في المفهوم القرآني هو الاستعداد في الحاضر لما يواجه الإنسان في عمله أو حياته في المستقبل، قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة) [الأنفال : ٦٠] وهذه الآية دعوة للإدارة الإسلامية بالعمل والتخطيط والاستعداد بقوة لمواجهة أمر مستقبلي قد يحدث لدار الإسلام وأمته، والقوة هنا تفهم بمفهوم العصر ، فقد تفهم بالقوة البدنية، وذلك ببناء الرجال الأشداء الأقوياء في إيمانهم وأبدانهم، وقوة السلاح بكل أنواعه ... فكل قوة تُحدث رهبة عند العدو فالمسلمون مخاطبون بإعدادها وامتلاكها، من أجل إرهاب أعداء الله وأعداء الإنسانية، وحماية دار الإسلام من

(٤٨) خالد الماجد التصرف في المال العام وحدود السلطة في حق الأمة، ص ٩٧ .
(٤٩) علي بن نايف الشحود، خصائص المنهج الإسلامي في القرآن الكريم، (د،ط) (د، ت) ص ١٧٧.

الأعداء، كما في آية الاعداد مفهوم التخطيط الطويل الأجل الذي يجب أن تأخذ به الدولة الإسلامية في إدارتها الحكيمة؛ حتى تحمي شوكة الإسلام وقوته[٥٠].

ومن أهم جوانب الإعداد المطلوبة لدفع العدو، وإحباط مخططاته الرامية للتغلب على الدولة الإسلامية؛ إنما يكون بالتخطيط الجيد والقائم على ضوء ما توافر من معلومات وإمكانات مادية لازمة. لذلك يجب رسم الخطط واستراتيجية الدفع واعداد القوة؛ في ضوء الإمكانات المادية المتوفرة، أو التي يتم توفيرها فعلاً. ولابد أن تعبر بتفاصيلها عن الوضع الممكن، حتى يتم إختيار الخطط الاستراتيجية المناسبة، فالمال والعدد، والتقنية، والخبرات والإمكانات المادية، وتوافر الفرص وعدمها، وموازين القوى عوامل حاسمة في تقرير الاستراتيجية المناسبة. ولقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يُدير المعارك، ويبني خططه، بناءً على هذه العوامل الحيوية كالمعلومات وتوظيفها في إدارة الصراع، كذلك الاستعداد بالبعد المالي بالصورة التي كانت تتناسب مع طبيعة الغزوات. فيُمثل المال على مر العصور أحد أهم مكونات الخطط الاستراتيجية، في إعداد قوة الدفع، سواء على مستوى الدول، أو الجماعات، أو الأحزاب، ويُشكل أحد أهم أركان العمل المؤسسي للمنظمات وفي غيابه يؤثر على طبيعة وحجم ونوع الخطط المرسومة[٥١].

٣. جانب إعداد واتخاذ الجند: ومن جوانب الإعداد الازمة والذي يتوجب على الدولة القيام به حق القيام، هو اعداد الجند لحماية الثغور ، لصون الأمن الداخلي والخارجي ومن خلال هذ الإعداد تتحقق معاني القوة من عدمها. واتخاذ الأجناد وحماية الثغور من أهم المصالح وعزم الأمور . قال الله تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) [النساء: ٧١] أي من العدو. ومن أخذ الحذر تكثير الأجناد وادخارهم. قال تعالى: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة [الأنفال : ٦٠] الآية ومن الإعداد للعدو كثرة الأجناد. وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم، في بدر بثلاثمائة وثلاثة عشر ، عدد قوم طالوت، واعتمر عمرة الحديبية بألف وأربعمائة. وفتح مكة بعشرة آلاف. وغزا حنيناً باثني عشر ألفاً، وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يحمل في العام الواحد على أربعين ألف بعير . ولما جيء بمال العراق، قال: لا ورب الكعبة لا يأوي تحت سقف حتى أقسمه. وكل ذلك دليل على سنة اتخاذ الأجناد، وتكثيرهم، وأنه من أهم مصالح الإسلام[٥٢].

ولما كانت الدولة بحاجة شديدة لاتخاذ الجند؛ ستكون حاجتها أشد للمال لرعايتهم والقيام على مصالحهم، ولسد حاجاتهم وحاجة من يعولونهم؛ ليتفانوا في حفظ دينهم وأوطانهم. وفي ذلك قيل : وإذا كانت الحاجة إلى الجند كذلك، فلا بد من إدرار أرزاقهم، وسد حاجاتهم، وتفقد أحوالهم، ومصالح عيالهم، والزامهم بقدر عنائهم، ولا يتم ذلك إلا بصلاح جهات الأموال وصلاحها بعمارة البلاد، وعمارتها بالعدل باتفاق الشرع والعقل [٥٣]. لذلك كان اتخاذ الجند من لوازم حفظ الدين، وصون بلاد المسلمين، وفي هذا قيل : ومن لوازم حفظ الدين تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظهر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً ويسفكون فيها المسلم أو معاهدا دماً، والحقيقة أن دفع الأعداء عن دار الإسلام ضروري لحفظ الدين وبقائه[٥٤].

واتخاذ الجند لا يعفي عامة المسلمين من واجب حفظ الدين والدفاع عنه، بل يبقى عليهم واجب اعداد العدة اللازمة للدفاع عنه، وقد سبق بيانه. ويكون الدفاع في حقهم فرض كفاية، لتعينه في حق من أسند إليهم هذا

(٥٠) علي الصلابي، الدولة الحديثة المسلمة دعائمها ووظائفها، دار بن كثير للطباعة، بيروت، لبنان، (٢) ١٤٣٥هـ ،٢٠١٤م، ص ١٤٠ : التخطيط والرقابة أساس النجاح ص ٩٧ .
(٥١) انظر : د. حسين الجعفري التخطيط المستقبلي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ١٣٩-١٤١.
(٥٢) الحموي، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ص ٩٤-٩٦.
(٥٣) الحموي، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص ٩٧.
(٥٤) شحاته محمد صقر، شريعة الله لا شريعة البشر، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، (د، ط) ص ٦١ .

الأمر وهم الجند. كما يتعين في حق الجميع إذا قصر من تعين عليهم أو تجاوز الأمر مستطاعهم وقدرتهم، ففي مثل هذه الحالة يتعين الدفاع عن الدين في حق الجميع.

٤. الاعداد الأمني ولاستخباراتي: وهذا النوع من الاعداد يعتبر من أهم جوانب الاعداد المطلوبة بل وعلى رأسها، خصوصاً في هذا العصر الحديث، حيث أصبح هذين الجهازين محور اهتمام هذه الدول بل وعليها اعتمادها، فمن خلال جهازها الأمني يتحقق أمنها واستقرارها، ومن خلال جهازها الإستخباراتي تبني قرارها وترسم مسارها وتتخذ خيارها. وهذا ليس أمراً جديداً محض بل هو قديم لازم الدولة منذ بزوغها، وهو ما تفطن له الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبني دولته بالمدينة، ومن يمعن النظر في سيرته العطرة يجد فيها معين لا ينضب، ودروس لا تنفد في جوانبها الأمنية والاستخباراتية والمعلوماتية.

حيث كان الإعداد الأمني ولاستخباراتي في بناء الدولة بالمدينة يُعد من مظاهر الحذر واليقظة لأنها تحول دون مفاجآت الأعداء. كما أن السعى للحصول على المعلومات عن العدو الداخلي أو الخارجي في غاية الأهمية حتى يكون التخطيط على أساس من أسباب القوة ومظاهرها ؛ التي أمر الإسلام بإعدادها، وتعد من أسباب حماية الدولة والمجتمع والمواطنين. إن من أهم أسباب حماية وبناء الدول أن ينشأ الحس الأمني لدى الموطنين منذ تفتح أعينهم على الحياة، وأن تقوم الدولة بتأسيس مؤسسات أمنية على أسس راسخة من المعرفة، والعلم، والحذر واليقظة ... إن بناء الأجهزة الأمنية، ومكاتب المعلومات التي تقدم للقيادة التقارير لوضع الخطط المناسبة على إثرها ليس أمراً جديداً، بل موغلاً في تأريخ الإنسانية، وكذلك في تأريخ المسلمين. وإن من أسباب استمرار الدول ونجاحها إعطاء هذا الأمر حقه من الإهتمام والارتقاء، وتطويره بما يناسب العصر الذي نحن فيه [٥٥] . وبناء الأجهزة الأمنية والاستخباراتية في الدولة الإسلامية يكون حسب الشروط والضوابط الشرعية لضمان سلامة رسالتها ولتحقيق المصلحة العظيمة المترتبة عليها، من حفظ الدين وتحقيق الأمن في حياة المسلمين، وبذلك تستحق هذه الأجهزة الإنفاق العام عليها لتحقيق نفع عام وبناء قوة ونظام.

ب. الإنفاق العسكري : ويشمل أرزاق الجند، والإنفاق في العدة العتاد العسكري.

١. الإنفاق في أرزاق الجند وابن خلدون يؤكد حقيقة الملك بقوله: "وإنما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجبي الأموال ويبعث البعوث ويحمي الثغور، ولا تكون فوق يده يد قاهرة. وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور . فمن قصرت به عصبته عن بعضها، مثل حماية الثغور أو جباية الأموال أو بعث البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته[٥٦]. كما يبين الماوردي المصارف المستحقة على بيت المال والواجبة الوفاء في كل الأحوال، وهي ضربان أحدهما أن يكون مصرفه مستحقاً على وجه البدل كارزاق الجند وأثمان الكراع والسلاح فاستحقاقه غير معتبر بالوجود، وهو من الحقوق اللازمة مع الوجود والعدم، فإن

(٥٥) علي الصلابي، الدولة الحديثة، ١٢٧ - ١٤٠ .
(٥٦) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون موقع الوراق ، ص ٩٥ .

كان موجوداً عجل دفعه كالديون مع اليسار ؛ وإن كان معدوماً وجب فيه على الإنظار كالديون مع الإعسار[٥٧] .

ومما توجه إليه اهتمام الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، توفير الأموال ليتمكنوا من خلالها إدرار أرزاق الجند وتحصين الثغور، وغيرها من مصالح المسلمين ولذلك أوقف عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرض السواد، وفي هذا يقول الماوردي: وصارت بوقفه لها في حكم ما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من خيبر والعوالي وأموال بني النضير، ويكون المأخوذ من خراجها مصروفاً في المصالح ولا يكون فيئاً مخموساً؛ لأنه قد خمس ولا يكون مقصورا على الجيش ؛ لأنه وقف على عامة المسلمين فصار مصرفه في عموم مصالحهم التي منها أرزاق الجيش وتحصين الثغور[٥٨]. حيث وقد كان يُجبا من أرض السواد أموالاً عظيمة، ففي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما حكى الماوردي: "حيث بلغ ارتفاعه في أيامه مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم وجباه عبيد الله بن زياد مائة ألف ألف وخمسة وثلاثين ألف ألف درهم بغشمه وظلمه، وجباه الحجاج مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف بغشمه وخرابه، وجباه عمر بن عبد العزيز رحمه الله مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف بعدله وعمارته ، وكان ابن هبيرة يجبيه مائة ألف ألف سوى طعام الجند وأرزاق المقاتلة.[٥٩]

واستمر الحال في الإهتمام بالجند، وتعجيل العطاء لهم، فمما كتبه معاوية إلى زياد طالباً تعجيل عطاياه وأوامره ... كما أوجب عليه تعجيل ما يطيق لولاة الثغور والحروب و الفيوج، و الرسل، فان هذه أمور إن أخرت عن أوقاتها كثرت مضرتها. كما ألزمه بحسن النظر في أمر الجند، فلا يؤخر عنهم العطاء، ولا يلجئهم الى الشغب، والغوغاء، و يسوسهم بما يديم طاعتهم ويؤلف كلمتهم، فإذا اعتدلت سياستهم استقامت مع الملك سيرتهم، و أمنت مضرتهم [٦٠] . ومما أوصى به طاهر بن الحسين ابنه عبد الله الإهتمام بأرزاق الجند وصلاح حالهم، حيث قال : وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم، وأدر عليهم أرزاقهم، ووسع عليهم في معايشهم؛ ليذهب الله بذلك فاقتهم، ويقوم لك أمرهم، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً، وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته، رحمة في عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته؛ فزايل مكروه إحدى البليتين باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به تلق إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً[٦١].

أما بخصوص مقدار أعطيات الجند، فذكر ابن عبد الحكيم أن أربعة آلاف جندي من أهل الديوان بمصر كانوا في مائتين مائتين من الدنانير سنوياً [٦٢]، وتمثل المائتان من الدنانير، والألفان من الدراهم الحد الأعلى لعطاء الجندي السنوي في خلافة معاوية، وهو نفس ما قرره عمر بن الخطاب في كتابه إلى عمرو بن العاص، قائلاً له: انظر من قبلك ممن بايع تحت الشجرة، فأتم لهم العطاء مائتين، وأتمها لنفسك لإمرتك، وأتمها الخارجة ابن حذافة لشجاعته، ولعثمان بن أبي العاص لضيافته[٦٣]. وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بلغ عدد المقاتلة من أهل العطاء في ديون مصر نحو أربعين ألف [٦٤] ، وكان جباية مال ولاية مصر قرابة

(٥٧) الماوردي، لأحكام السلطانية: مصدر الكتاب : موقع الإسلام ، http://www.al-islam.com ص ٤٣٠.
(٥٨) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٣٥٤ .
(٥٩) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٣٥٤ .
(٦٠) الخراج وصناعة الكتاب، قدامة بن جعفر بن قدامة دار الرشيد للنشر، ١٩٨١ (د، ط) ص ٣٨٨.
(٦١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك مصدر الكتاب موقع الوراق، ٥/١٥٦ .
(٦٢) البلاذري فتوح البلدان، ٢/ ٣٧٥ .
(٦٣) أبو جعفر الطبري: تاريخ الطبري، ٥/٢٤٢.
(٦٤) ابن عبد الحكيم عبد الرحمن بن عبد الله فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل ليدن، ١٩٣٠م ص ١٠٢ .

أربعة ملايين دينار، وبلغ عدد المقاتلة في ديوان البصرة أواخر خلافة معاوية ستين ألفاً أو سبعين ألفاً [٦٥] ، وكان مبلغ جباية ولاية البصرة حوالي ستين مليون درهم [٦٦]، وبلغ عدد المقاتلة في ديوان الكوفة خمسين ألفاً، وبلغت جبايتها خمسين مليون درهم[٦٧]. ونجد هنا التناسب والتقارب في بين الأموال الواردة وبين أعداد الجند، وذلك حتى يقابل الإنفاق بما يرد من أموال، وكان الإنفاق على الجند يشكل أهم النفقات حينها.

٢. الإنفاق في العدد والعتاد العسكري : وإلى جانب العطاء في أرزاق الجند، كانت الدولة تنفق في حفظ الأمن الداخلي، وفي الحفظ والحماية لبيضة، والعمل على نشر الإسلام وقتال الأعداء. وعلى سبيل المثال، أنفق أبو جعفر المنصوري على الجيش الذي بعثه إلى أفريقية تونس - لحفظ الأمن فيها وإعادتها إلى الطاعة مالاً عظيماً قيل بلغ ٦٣ مليون درهم[٦٨]. وأخرج المعتصم بالله بابك الخرمي ما لا يتهيأ حصره، وقيل ربما بلغ خمس مائة وقر من الدراهم أو أكثر . [٦٩]. وأنفق الرشيد في غزوة من غزوات الروم عام ١٦٤هـ، من الدنانير (١٩٣) ألف دينار، ومن الدراهم حول (٢١,٥) مليون درهم [٧٠]، وهي أمثلة يسيرة مما كانت الدولة تنفقه في الحروب والعتاد العسكري.

ويتميز العصر الحديث بضخامة الإنفاق العسكري، وتنوع أهداف هذا الإنفاق بشكل لم يسبق له مثيل في العالم، وذلك بسبب التقدم الصناعي والتقني الذي اضاف ابعاد جديدة في الحرب. وقد تطور حجم الإنفاق العسكري في العالم المعاصر منذ منتصف الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي، عندما شعرت أوربا بخطر التهديد الألماني، ثم أخذا حجم الإنفاق العسكري يتزايد بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بلغ الإنفاق العسكري في العالم في العام ١٩٦٧م، مبلغ ١٥٩ مائة وتسعة وخمسون مليار دولار امريكي، في حين تضاعف هذا الإنفاق عام ١٩٨٣م بمعدل ٣,٨ مرات عنه في عام ١٩٦٧م حيث قفز الى ٦٠٠ مليار دولار في السنة[٧١].

أما نسبة الإنفاق العسكري من الناتج الإجمالي في العام ١٩٨٠م، فقد بلغ في الدل المتقدمة ما نسبته ٤,٧% وفي الدول العربية ٨٧%% وفي اسرائيل ٣١,١% كما يتزايد الإنفاق العسكري لحماية الأمن القومي في بلدان العالم بشكل مستمر، بل إن العالم يشهد سباق في التسلح والتصنيع الحربي، حيث وأن مؤشرات الصراع تتزايد كل يوم. بحيث تجاوز الإنفاق الدولي على سباق التسلح كل التصورات، وأصبح يقترب من مليون دولار في الساعة، أي أكثر من ٥٥٠ مليار دولار في عام واحد. وشغلت صناعة السلاح٤٠٠,٠٠٠ عالم أي ما نسبته ٤٠% من الأدمغة في العالم. و كان للعالم الثالث نصيبه من هذا السباق. فقد ازداد إنفاقه على : ٣% في الخمسينيات ووصل إلى ٩% في السبعينيات وأصبح ١٦% في نهاية الثمانينيات، و ٢٠٪ في التسعينيات. وتكون الزيادة في الإنفاق العسكري من إجمالي الناتج في هذه البلدان على حساب مجالات أخرى، وهذا يؤكد ضرورة الإنفاق حسب الأولويات الضرورية[٧٢] . وكما هو معروف أن نفقات الأمن والدفاع تحظى بأولوية على غيرها لأنها تحقق معنى السيادة، وتحافظ على تماسك الدولة في الداخل وتقوى

---

(٦٥) البلاذري : فتوح البلدان، ٢/٤٢٩؛ وأبو جعفر الطبري: تاريخ الطبري، ٥/٥٠٤.
(٦٦) الجاحظ عمر بن بحر : كتاب البلدان مقتبس من مجلة كلية الآداب : نشر صالح العلي، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٠م ، ص ٥٠٥؛ وانظر : بطاينة الاقتصاد في العصور الإسلامية الأولى، ص ٣٨٥.
(٦٧) البلاذري: فتوح البلدان، ٣/٤٢٩.
(٦٨) أبو جعفر الطبري: تاريخ الطبري ٨/٤٤ - ٤٠٤٦ والياقوتي : تاريخ الياقوتي، ٢/٣٨٦.
(٦٩) بطاينة، محمد ضيف الله الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، ص ٢٨٣.
(٧٠) أبو جعفر الطبري: تاريخ الطبري، ٨./١٥٢
(٧١) غازي بن سالم الحربي، اقتصاديات الحرب في الإسلام، ص ٤٥-٤٦.
(٧٢) د. زين بن محمد الرماني النوافذ الاقتصادية، دار طويق للنشر، الرياض، (١٥) ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ص ١٠٣، وما بعدها.

على مجابهة أعدائها من الخارج، ومن خلال ذلك يتحقق العدل والنظام، لكن ذلك لا يكون على حساب أولويات أخرى، قد تكون أولى وأهم كالإنفاق في التعليم، والإنفاق في امتلاك التقنيات التصنيعية، اختصاراً للوقت والمال، وانطلاقاً في التنمية الاقتصادية، التي تمكن من امتلاك القوت والقرار .

الخليفة يحرس الدين وخليفة المسلمين وإمامهم يحمل على عاتقه أمر عظيم، إنه أمر حفظ الدين وسياسة الدنيا به، وكاد أمر الخلافة والملك ينعقد على هذا الأمر، وفي هذا قيل : والقائم بحفظ هذه السنة وغيرها من وظائف الشرع حتى لا تزول عن أوضاعها هو الإمام وصناعته هي صناعة الملك. والأوائل لا يسمون بالملك إلا من حرس الدين وقام بحفظ مراتبه وأوامره وزواجره. وأما من أعرض عن ذلك فيسمونه متغلباً ولا يؤهلونه لإسم الملك وذلك أن الدين هو وضع إلهي يسوق الناس إليه باختيارهم إلى السعادة القصوى. والملك هو حارس هذا الوضع الإلهي حافظ على الناس ما اخذوا به[٧٣].

أولوية الإنفاق في سبيل الإعداد الشامل وإعداد القوة، لفظ عام يشمل كل قوة، والآية الكريمة تضع أذهان المسلمين على الإعداد الشامل المعنوي والمادي، العلمي والفقهي على مستوى الأفراد والجماعات، ويدخل في طياتها الإعداد التربوي، والسلوكي، والإعداد المالي، والإعداد الإعلامي، والسياسي والأمني والعسكري. كما أن الآية الكريمة وضحت أن الإعداد يحتاج إلى إنفاق هائل ووعدت بالتعويض في الدنيا والجزاء في الآخرة لتحفز المسلمين وتحثهم على ذلك، قال تعالى: (وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) [الأنفال : ٦٠] وفيما سبق دلالة واضحة على أولوية الإنفاق العام في سبيل إعداد العدة اللازمة للدفع[٧٤].

والدولة الإسلامية في سبيل حفظ الدين، مطالبة شرعاً بتفعيل النظام التكافلي المجتمعي، لتستعين به في تغطية الإنفاق العام على إعداد عدة الدفع، في السلم والحرب.

ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالاً، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله: (وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) [الأنفال: ٦٠] وهكذا يُجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله، من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي ومن كل شعور قومي أو طبقي، ليتمحض خالصاً لله في سبيل الله لتحقيق كلمة الله، ابتغاء رضوان الله[٧٥].

المبحث الثاني: حفظ العقل

١. حفظ العقل وتنميته بالعلوم والمعارف وأولوية الإنفاق العام فيها.

مكانة العقل في الإسلام وميدانه الأساسي:

يبرز دور الدولة بوضوح وجلاء، في حفظ العقول ورعايتها وتنويرها بالعلوم والمعارف النافعة. فمهمة التعليم ورعاية محاضنه ومراقبتها والإشراف عليها؛ أمر في غاية الأهمية والخطورة، لما يترتب على ذلك من تنوير العقول بالعلوم والمعارف، وتبصيرها بميادينها الحقيقية، وهذا الأمر لا يقوم به حق القيام إلا الدولة، فهو أحد اهتماماتها ومسؤولياتها الأساسية، ويُعد التقصير فيه تفريطاً منها بواجباتها الأساسية

(٧٣) أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، (ط ١) (د، ت) ص ١٥٤ .
(٧٤) انظر : الصلابي، تبصرة المؤمنين بفقه النصر والتمكين، ص ٢٤٨، ٢٤٩ .
(٧٥) الشحود، خصائص المنهج الإسلامي في القرآن، ص ٣٧٦ .

والسيادية، ومغامرة بمستقبل أبنائها وشبابها، فحفظ العقل يعني لها الكثير ومما يعنيه حفظ وجودها، واستقرارها وقرارها، كما يعني ازدهارها، ونماؤها ، وبه يكون للدولة اعتبارها.

التعليم حق عام للجميع: ويجب على الدولة أن تجعل من تعميم التعليم وعموم المعرفة، قاعدة انطلاقها في تنوير العقول وتبصيرها، وحفظها وتنميتها. على أن التعليم يجب ألا يكون وقفاً على الصفوة من أفراد المجتمع، وإنما يجب أن تكون هناك قاعدة عريضة من المتعلمين تشمل نسبة هامة من السكان، وتتدرج من محو الأمية إلى تربية جيل من العلماء الباحثين [٧٦] . وهو تماماً ما نص عليه الإسلام، فطلب العلم فرض عين على كل مسلم. وفيه قال: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه: ١١٤] فالإستزادة من العلم فريضة على كل المسلمين، بينما يكون التخصص في فروع خاصة من العلم فرض كفاية، يضطلع به العلماء. كما يجب على الدولة تيسير وتسهيل العلوم الضرورية والواجبة على عامة الناس بما يحقق المصلحة العامة والنفع العام؛ باستنارة العقول بالعلوم والمعارف، وما يترتب على ذلك من إحداث نهضة علمية ومعرفية، تقود الأمة الى تنمية شاملة في جميع مناحي الحياة والتي تعد من أهم أسباب قوتها وعزتها. وهنا يلزم الدولة القيام بتغطية فروض الكفاية من العلوم بما يفي بحاجة الأمة إليها، ويكون قيامها بذلك من قبيل الواجب فهي المخاطبة بالقيام بذلك نيابة على الأمة. وفي ذلك يقول ابن عابدين: "وأما فرض الكفاية من العلم فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب واللغة وأصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والسياسة والحجامة [٧٧] . ولا يقوم بهذا الجهد حق القيام إلا الدولة، فهي من تنوب عن الأمة في القيام بفروض الكفاية، سعياً منها في تحقيق كفايتها وحاجتها من العلوم التطبيقية، وقياماً منها بواجبها في ذلك. فإذا قصرت الدولة في القيام بذلك أوقعت الأمة في مشقة وحرج، ويتوجب تحصيله في حق الجميع.

التعليم والتنمية: يعتبر التعليم أهم العوامل الإجتماعية المؤثرة في الإرتفاع بنوعية العنصر البشري، والزيادة من كفاءته الإنتاجية، حتى اعتبره الإقتصاديون المكون الأساسي العملية الإنتاج والتنمية. ويذهب أحد علماء الإقتصاد إلى القول بأن مشكلة الفقر الدولية، مشكلة إقتصادية ظاهرياً ، ولكنها في جوهرها مشكلة تعليمية[٧٨]. فأهمية التعليم لا تتوقف على مرحلة البدء في التنمية، وإنما تعتبر العملية التعليمية ضرورة لاستمرار هذه التنمية وعدم تعرض الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لانتكاسة حضارية[٧٩].

فللتعليم أهمية إقتصادية واجتماعية كبرى، تربو على أهمية العوامل الاجتماعية الأخرى، وذلك أن نشر التعليم يعتبر المضاعف Multiplier في النهوض بكل العوامل وتوجيهها إلى تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي المنشود[٨٠].

تنمية الموارد البشرية بالعلوم والمعارف كمورد اقتصادي هام: وتتمثل النواحي الإنتاجية في التربية في المهارات التي يمكن تكوينها وفي المعارف المفيدة والتي يمكن اكتسابها، حيث أن التربية تؤدي إلى تنمية المواهب والقدرات وإلى زيادة الدخل. ومع انتشار التعليم أصبحنا نستثمر كثيراً من رأس المال البشري،

---

(76) Schramm (Wilbur): Mass Media & Development, The Role of Information in the Developing Countries (Stanford Univ. press, California, 1964)p: 29.

(٧٧) ابن عابدين محمد أمين : رد المحتار على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار - المشهور ب "حاشية ابن عابدين" - المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٦ هـ ، (د، ط)، ١/١٩٠.

(78) Cairncross: Factors in Economic Development (George Allen & Unwin, London, 1962).-1 PP: 31-32.

(79) Myrdal: Asian Drama, Op. Cit. P:1724/ Harbison (Frederick) & Myers (Charles): Education, Manpower & Growth (MC Graw-Hill N. Y., 1964) p: 70.

(80) Adams (Don): Pitfoll & Priorities in Education in Gove (ed): Dynamics of Economic-Development (Praeger, N. Y., 1964) p:243.

ويمكن القول أن القدرة على الإنتاج في العمل هي وسيلة إنتاجية تمت تنميتها عن طريق التعليم، فنحن في المدارس تصنع أنفسنا" وبهذا المعنى يمكن اعتبار الموارد البشرية نتيجة الاستثمار في التعليم . إن اكتساب الإنسان للقدرات والمواهب يضاعف من إنتاجه الاقتصادي ... ولأن يمكن التأكيد أن الكشف الجديد الأهمية رأس المال البشري هو أن الاستثمار في البشر أنفسهم هو أفضل أنواع الاستثمار. وأن التقدم الاقتصادي بسبب التعليم يتوقف على مدى تجاوبه مع متطلبات سوق العمل وأن سوق العمل يتطلب المواهب العالية، والعامل الفني وكذلك المستويات العالية من التعليم[٨١].

واقع العلوم والمعارف في البلدان العربية واستيعابها لعقول أبنائها :

تشهد أغلب بلدان العالم الثالث بما فيها العربية تراجعاً مستمراً في العلوم والمعارف، صاحبه ارتفاعاً في معدلات البطالة، وتراجعاً في مستوى التنمية؛ نتج عن ذلك هجرة العقول والكفاءات العلمية، بسبب غياب البيئة العلمية التي تستوعبها للقيام برسالتها، حيث تركة هذه الهجرة آثارها على الأوطان في شتى المجالات وعلى رأسها مجال العلوم المعارف. حيث كان لهذا التراجع في مستوى العلوم والمعارف في هذه البلدان، أثر سلبي تمثل هذا الأثر بهجرة الكفاءات العلمية والتقنية من الطلاب العرب المتفوقين الذين تخرجوا من الجامعات العربية الكبرى أو الجامعات الغربية، وقد لاحظ تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٣م أن هجرة الكفاءات العلمية والتقنية العربية العالية، إلى بلدان الغرب واستقرارها فيها، تسهم إلى حد كبير في تقويض العلوم والمعارف والتنمية الإقتصادية في المنطقة، والسبب الرئيسي لهجرة الكفاءات غياب البيئة المجتمعية ولإمكانات التي يمكن أن تؤدي إلى قيام تلك الكفاءات العالية بدورها المنشود في منظومة المعرفة وفي نهضة بلدانها، مع تحقيق الذات وتوافر أسباب العيش الكريم[٨٢]. وهذه صورة مصغرة لواقع العلوم والمعارف في البلدان النامية عوماً، والبلدان العربية على وجه الخصوص. وهذا الواقع هو انعكاس لتدني مستوى الإنفاق العام على العلوم والمعارف في هذه البلدان، حيث كان نصيب الإنفاق على التعليم من إجمالي الناتج القومي في اغلب هذه البلدان، لا يتجاوز ٣% في احسن الأحول.

- الإنفاق العام على العلوم والثقافة

تلخصت رسالة الإسلام بأنها رسالة تعليم وإرشاد وهداية، هكذا هي رسالة الإسلام والتي تنزلت على المعلم الأول الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم حمل هذه الرسالة عنه، الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتتابع الأمر بعد ذلك في سائر الخلفاء. ففي عهد الفاروق رضي الله عنه، كان التعليم من المهام الأساسية لولاة الأمصار، الذين يعينهم عمر بن الخطاب، ويدل على ذلك إعلان عمر أنه إنما يبعث عماله اليعلموا الناس دينهم، وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم [٨٣] ومن ذلك أيضاً، أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد: أن ارفعوا إلى كل من حمل القرآن؛ حتى ألحقهم في شرف العطاء، وأرسلهم في الآفاق يعلمون الناس[٨٤].

وقد اهتم الخلفاء بالعلم اهتماماً بالغاً وكبيراً، فمما ورد من ذلك هارون الرشيد من أنه قبل الجزية كتاباً، كما أن الخليفة المأمون دفع وزن ما ترجم ذهباً ، أما أسلاف المسلمين فقد علموا أهمية العلم وفضله في شتى نواحي الحياة المختلفة وأثره في تقدم المجتمع، ويكفي تقديراً لتراث التعليم في الإسلام تلك الصفوة،

---

(٨١) نواف العدواني اقتصاديات التعليم مبادئ راسخة واتجاهات حديثة، الناشر : دار المسيرة، عمان، (١) ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م (٢) ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧ م ص ٧٠.

(٨٢) تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٣م، نحو إقامة مجتمع المعرفة الناشر : برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، (٤) (عمان المطبعة الوطنية (٢٠٠٣م) الفصل السابع: البنية الاجتماعية ولاقتصادية ص ١٤٢.

(٨٣) أبو يوسف الأموال، ص ٥٠.

(٨٤) محمد يوسف الكندهلوي، ٣/٣٣٣؛ وجريبة: الفقه الاقتصادي، ص ٣٩٦.

والمجموعة الكبيرة من العلماء في مختلف العلوم والمجالات[٨٥]. ومن المؤكد أن عملية الإستثمار في التعليم تتطلب نفقات باهظة ولا يمكن الحصول على عائداً لها إلا بعد فترة طويلة من الزمن، لذا فإنه يجب على الدولة أن تقوم بعملية التخطيط الاقتصادي للتعليم ليلبي احتياجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع وفق الإمكانات المادية المتاحة للدولة، وهذا يتطلب مراعاة أولويات التعليم حسب تلك الإمكانات لسد تلك الحاجات، ولهذا فإنه يجب أن يراعى في وضع أولويات التعليم الأهمية النسبية لبعض أنواع التعليم[٨٦].

وهو ما تفطن له الغرب وأولوه اهتمامهم، وفي ذلك تقول مجلة ايكونومست Economist" البريطانية أن التعليم هو ثروة الأمم وأن مؤسسات التعليم هي ساحات المعارك للقرن المقبل. أما العالم الأمريكي دانيال سافران فيؤكد أن مسألة التعليم لا يمكن فصلها عن الأمن القومي، إن المدرسة هي مخفر الحدود والجامعة هي الثكنة. وأن ما يميز العالم الصناعي عن العالم الثالث هو أن الأول ينفق على التعليم والأبحاث أضعاف ما ينفق على الجيوش والسلاح، بينما في العالم الثالث فإن ما يحدث هو العكس تماماً. إذا فإن وزراء التربية والتعليم وليس وزراء الدفاع هم حماة خط الدفاع الأول عن الأمن القومي في القرن المقبل "[٨٧]. فالتعليم لم يعد اليوم مجرد عملية استهلاكية، بل يعتبر أداة استثمارية هامة، أي استثمار في رأس المال البشري. وبات من الأمور التي يجمع عليها الباحثون تلك العلاقة الوثيقة بين الاقتصاد والتعليم[٨٨].

وبالنظر في واقع التعليم في البلدان الإسلامية، نجد أنه أصبح من الخصائص الاجتماعية البارزة لكثير من الدول الإسلامية انخفاض المستوى التعليمي كسبب ونتيجة أساسية لانخفاض مستوى الإنفاق العام، ويعود ذلك إلى عدد من الاسباب أهمها ما يلي:

- نقص الاعتمادات المالية اللازمة للإنفاق على التعليم في كثير من الدول الإسلامية؛ إذ توضح إحصائية للأمم المتحدة أن إجمالي الإنفاق على التعليم في العالم العربي عام ١٩٨٥م لم يتجاوز ٥,٣٥% من مجموع دخله الإجمالي[٨٩].
- ومن الأسباب أيضاً، قلة الارتباط بين سياسات التعليم المختلفة، وبين حاجة الإقتصاد القومي بقطاعاته المتنوعة[٩٠].

وبسبب تراجع مستوى التعليم في البلدان الإسلامية؛ تضاعفت نسب الأميين أوساط الكبار في نهاية العام ١٩٨٥م، حيث بلغت أعلى نسبة للأمية في الصومال ٨٠% وبروكينا فاسو ٨٧% والنيجر ٨٦% وكانت النسب الأدنى من نصيب الأردن ٢٥ وتركيا ٢٦% وماليزيا ٢٧٪ ويكون متوسط نسبة الأمية عند الكبار في هذه البلدان ٥١% بينما نجد أن نسبة الأمية أوساط الكبار في كافة بلدان العالم المتقدم، تقل عن ٥%[٩١]. كما لا تزال معدلات الأمية بين البالغين ١٥ سنة وما فوق في الوطن العربي هي الأعلى بين بلدان العالم،

(٨٥) انظر: محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف، (٢) ١٩٨٦م ، ص ٢٥,٢٤؛ والتخطيط الاقتصادي لقطاع التعليم عبد اللطيف عبد الله رسالة ماجستير في الاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى للعام ١٤١١هـ / ١٩٩١ ، غير منشورة، ص ٦١.

(٨٦) أنظر: عبد الباسط محمد حسن التنمية الاجتماعية ص ٣٥٦.؛ والتخطيط الاقتصادي لقطاع التعليم في المملكة ص ٧٠.

(٨٧) شوقي رافع التعليم والأمن القومي، مجلة العربي العدد (٤٦٥) أغسطس ١٩٩٧م، ص ٦٦-٧٣.

(٨٨) عبده سعيد عبد إسماعيل التنمية الريفية في الاقتصاد الإسلامي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى، للعام ١٤٢٢هـ ، ص ٤٢٩. غير منشورة.

(٨٩) الكتاب الإحصائي السنوي لمنظمة اليونسكو لعام ١٩٨٧م ؛ ومحمد بن سعيد ناجي الغامدي: التخطيط للتنمية الاقتصادية وموقف الإسلام منه، رسالة دكتوراه في الاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى، للعام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٢٩.

(٩٠) الغامدي: التخطيط للتنمية الاقتصادية وموقف الإسلام منه، ص ١٢٩.

(٩١) المصدر : البنك الدولي تقرير عن التنمية في العالم لعام ١٩٩٠م، ص ٢١٠-٢١١.

حيث بلغت ٢٩,٧ في عام ٢٠٠٥م مقارنة مع ٢٣,٣٪ في الدول النامية و ٩٠.٠% في الدول المتقدمة[٩٢].
كما تعاني أغلب البلدان الإسلامية من تخلف تعليمي كبير في كافة المستويات التعليمية، حيث نجد أن بعض البلدان الإسلامية لا تزيد فيها نسبة المتقدمين في المدارس الابتدائية عن ٥١ مثل تشاد، وباكستان، وبنغلادش، وفي التعليم الثانوي لا تتجاوز ٦% كما في تشاد، ومالي، والنيجر، أما في التعليم العالي لم تبلغ سوى ١% كما في مالي، والنيجر. ويزداد هذا الوضع فداحة عند مقارنته بالدول المتقدمة، التي تزيد فيها نسبة المتقدمين في المدارس الابتدائية على ١٠٠٪ وفي التعليم الثانوي ما يزيد عن ٩٠%، وما يزيد على ٤٠% في التعليم العالي[٩٣].

ويعد السبب في تراجع التعليم في البلدان النامية؛ هو تراجع الإنفاق العام على التعليم في هذه البلدان. ففي أقل البلدان نمواً والتي توجد لدى اليونسكو بيانات عنها في هذا المجال، هبط الإنفاق العام الجاري على التعليم للتلميذ، محسوباً بالدولار ، من (٥٠) دولاراً في عام ١٩٨٠م إلى (٤٥) دولاراً في ١٩٨٨م. بينما زاد في البلدان المتقدمة من (١٨٦٢) دولاراً إلى (٢٨٨٨) دولاراً، وفي البلدان النامية عموماً من (١٠٦) دولاراً إلى (١٢٩) دولاراً. وتعكس الفروق في مستويات الإنفاق العام الجاري على التعليم بين البلدان المتقدمة والنامية؛ تعكس ما بينهما من فروق في مستويات إجمالي الدخول للأفراد.

ويبدو أن نصيب الإنفاق على التعليم النظامي من الناتج القومي العالمي قد استقر منذ عام ١٩٨٠م حتى نهاية الثمانينات عند حوالي ٥، ٥% مع وجود فرق في النسبة بين بلدان العالم المتقدم، والعالم الثالث[٩٤].
ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن تراجع التعليم في بلدان العالم الثالث عموماً، والبلدان الإسلامية على وجه الخصوص؛ إنما سببه هو تراجع الإنفاق العام على التعليم، وانعكاسه على نصيب الطالب وحضه من الإنفاق العام، في ظل عدم قدرته في الإنفاق على نفسة في سبيل التحصيل العلمي، وانشغاله بتحصيل القوت.

العقل في الحضارة الإسلامية وعصور نهضتها: وبالعودة الى تأريخ الأمة الاسلامية المحاولة الوقوف على سر نهضتها الحضارية في عصور ازدهارها؛ نجد أن العقل كان حاضراً بقوة، بل كان صانعاً لحضارتها الفريدة المتميزة، وحضور العقل تمثل بازدهار العلوم والمعارف، وإنطلاقها غير المحدود بحدود مكانية أو زمانية، وفي هذا قيل: "شهد العالم إبان عصور الحضارة الإسلامية ازدهاراً للعلوم والمعارف وتطورها ولإبداع فيها، فعلى مدى قرون طويلة تقترب من ألف سنة، كان العلم على مستوى العالم ينطق بالعربية، درساً وممارسة وتطبيقاً، وذلك إنما يرجع إلى النهضة العلمية غير المسبوقة في الحضارة الإسلامية، تلك التي اهتمت بالعلم وتطبيقه اهتماماً لم تشهده حضارة من الحضارات أو أمة من الأمم.

حيث وجد العلماء وأصحاب العقول في المجتمع الإسلامي البيئة العلمية المناسبة لممارسة العلم، والمشجعة على العمل به، خاصةً من قبل الدولة التي تولت رسمياً رعاية العلماء والمفكرين.

حيث غلب على الدولة الإهتمام بالعلم وتنشئة العلماء ورعايتهم. وكانت الخلافة الإسلامية كما يصفها العالم الأمريكي "دريبر" في كتابه النزاع بين العلم والدين - ملكاً واسعاً يفوق المملكة الرومانية بكثير ، وكانت مملوءة بالمدارس والكليات وكان في طرف من أطراف هذه الخلافة الإسلامية مرصد لرصد الكواكب،

(٩٢) نوزاد عبد الرحمن الهيتي التنمية العربية في عالم متغير، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، أوارق الجزيرة (١١) مايو ٢٠٠٩ م ص ٤٤.
(٩٣) المصدر : البنك الدولي تقرير عن التنمية في العالم لعام ١٩٩٠م، ص ٢٦٦-٢٦٨.
(٩٤) نواف العدواني اقتصاديات التعليم مبادئ راسخة واتجاهات حديثة، دار المسيرة عمان (ط١) ١٢٤٢هـ / ٢٠٠٣ و (ط ٢) ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧، ص ٩٣، ٩٤.

وكان الأمراء المسلمون يتنافسون في الأقاليم على رعاية العلم والعلماء. ونتيجة تشجيعهم للعلماء انتشر الذوق العلمي في المساحة الشاسعة التي بين سمرقند وبخاري وإلى فاس وقرطبة[٩٥].

ولذلك نجد أن الحضارة الغربية المعاصرة، إنما بنت حضارتها على ما أخذته عن الأمة الإسلامية، من منقولات ومبتكرات وزيادات تحسينية، وقد كانت الحضارة الإسلامية المتفوقة السبب في تغيير مجرى التفكير الغربي الكنسي الجامد، وكانت الباعث النهضة أوروبا الفكرية والعلمية التي بنت عليها نهضتها الصناعية، ولا سيما المنهج الذي اتخذه المسلمون معتمدين فيه على الاستقراء، والسبر، والملاحظة، والتجربة، وتسجيل النتائج، ولم يأخذوا منهج علماء اليونان القائم على النظرات الفكرية والتحليلات الذهنية، والتخيل والسبح في الأوهام، والسقوط في الغيبيات بتصورات لا أساس لها من الصحة. وقد كانت أوروبا قبل أن تبني حضارتها على ما أخذته عن الأمة الإسلامية، تعيش في ظلام دامس، وسبات عميق، وجاهلية منتشرة، وكانت الفتوحات الإسلامية هي التي نبهت أوروبا على ضرورة الأخذ بالأسس الحضارية، التي كانت السبب في تفوق المسلمين على شعوب الأرض، علماً وحضارة وقوة، وبدايات تصنيع[٩٦].

العقيدة وأثرها على التنمية الاقتصادية والنهوض الحضاري: والعقيدة الدينية أعمق الأثر في حياة الإنسان، وتصرفات الأفراد : فهي المحرك الأساسي للنشاط الإنساني، وهي الموجه العميق وراء هذا النشاط، وينطبق ذلك . بصورة خاصة . على النشاط الاقتصادي الموجه إلى تحقيق التنمية الشاملة، لما يتطلبه من جهد وتضحيات. فالعقيدة هي التي تولد عند الفرد الرغبة في التقدم، والتي يعتبرها الخبراء الاقتصاديون نقطة البداية لأي عملية تنموية[٩٧]. وكما أن العرب لم يتمتعوا بتقدم حضاري . بما تحمله هذه الكلمة من معنى إلا في الفترة المواكبة لظهور الإسلام والتالية علية مباشرة. ذلك أن التقدم الإقتصادي في هذه الفترة، واكب التقدم في كافة المجالات الإجتماعية والدينية، مما وفر للعرب حضارة متكاملة، لم يشهد لها العالم مثيلاً. وما ذلك إلا لأن القرآن . دستور المسلمين . يزود المؤمن بنظام متكامل للحياة الإجتماعية ، والإقتصادية ، والقانونية، وهو المرجعية التشريعية[٩٨].

كما يمكن القول أن الحضارة الغربية المعاصرة مازالت تبني حضارتها إلى اليوم، على أنقاض الحضارة الإسلامية من خلال نشر الخراب في بلدان العالم الإسلامي بشتى الوسائل والطرق، وفي الوقت نفسه تعمل جاهدةً على استقطاب خيرة عقول الأمة، والتي لا تجد مفراً من الواقع الذي آلت إليه شعوبها، سوى الهجرة إلى بلدان الغرب، وهناك تجد من يحتضنها ويرعاها، ويوفر لها لبيئة العلمية الملائمة لها لتنتج وتبدع، وهي اليوم تعتمد عليها اعتماداً جوهرياً في نهضتها العلمية والمعرفية.

٢. حفظ العقل بدعم وتشجيع البحث العلمي وأولوية الإنفاق العام فيه.

إن من أهم الميادين المناسبة لإنتاج العقل واستقراره ميدان البحث العلمي ولأهميته توجب على الدولة أن توليه رعاية وعناية خاصة، وذلك لما يترتب عليه من حفظ عقولها ورعاية أبنائها، واستقرارهم في أوطانهم وافادتهم لها، فعليهم تتوقف نهضة بلدانهم وعمرانها .

---

(٩٥) د. خالد حربي ومجموعة من الباحثين المعطيات الحضارية لهجرة الكفاءات، ص ١٠٥ .

(٩٦) عبد الرحمن بن حبنكة الدمشقي الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم دمشق (ط١) ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م ص ٥٥٠ .

(97) Villard (H): Economic Development (Holt, Rinehart & Winston N. Y.. 1963) P: 12-1 Lewis: The theory Of Economic grouth: Op, Cit. P:23.

(98) Royal Institute Of International Affairs: The Middle East: A Political & Economical- Survey (Oxford Univ. Press, London, 1950) P. 50.

إن التفريط بحفظ العقل تفريط بمقصد من مقاصد الشريعة، كما أن التفريط بحفظ العقل خسارة وطنية وقومية تُصيب الدول المتساهلة بحفظ عقولها. وفي سبيل حفظ العقل يتوجب على الدولة توفير وتهيئة وسائل حفظه، ومن أهم هذه الوسائل إنشاء مراكز الأبحاث العلمية ودعمها بكل ما يلزم، وإن كلفها ذلك مالاً كان له الأولوية في انفاقها العام، لما يترتب عليه من توفير بيئة حاضنة للعقول ومستوعبة لها، ولما يترتب عليه من إحداث نهضة شاملة في شتى مجالات الحياة، وتحقيق مصلحة عظيمة ونفع عام، كما يمثل ذلك مصدر قوة وتفوق للدولة في جوانب الحياة المختلفة، وهو ما يطلب منها أن تحققه في واقع حياتها، وتجعله على رأس أولوياتها، قياماً منها بواجبها.

واقع البحث العلمي في البلدان العربية:

ومما سبق تبين لنا واقع البحث العلمي في الوطن العربي، ومما يزيد من الشعور بالإحباط للناظر إلى واقع البحث العلمي في الوطن العربي؛ تدني نسبة الإنفاق على البحث العلمي والدراسات الأكاديمية من الناتج القومي، مما يُشكل عقبة أمام العلماء والباحثين في إنتاجهم العلمي وفي سبيل معاشهم ووضعهم المالي وعدم قدرتهم على نشر أبحاثهم العلمية[٩٩]. فقد ورد في دليل الأمم المتحدة للتنمية في الفترة من [١٩٩٦-٢٠٠٢] أن ما ينفق على الباحث العربي سنوياً لا يتجاوز (٢٤) أربعة وعشرون دولاراً، في حين يصل إلى (١٢٤) مائة وأربعة وعشرون دولاراً في الدوال الصناعية، ويُشير نفس الدليل أن الدول العربية تصرف أقل من ٠,٠٣٪ من ناتجها القومي على البحث العلمي والتطوير الأكاديمي في حين نجد أن العالم الغربي . أوروبا وأمريكا . قد صرفت خلال ١٩٩٦م فقط ما يُقارب (٤١٧) أربعمائة وسبعة عشر بليون دولار، وهو ما يتجاوز ٧٥% من الإنفاق المالي العالمي على البحث العلمي [١٠٠] .

أما في مجال النشر العلمي فيُشير التقرير أنه في الأعوام ما بين [٢٠٠٠ -٢٠٠٥] وصل عدد الأوراق المنشورة في العالم العربي ما يزيد قليلاً على (١٠,٠٠٠) عشرة الف ورقة بحثية سنوياً، بينما بلغ ذلك في إسرائيل وحدها (٦٧،٠٠٠) سبعة وستون الف ورقة بحثية، مما يُشكل عامل من عوامل الجذب المغرية في بلدان المهجر الذي توفر للباحث كافة الأدوات والمتطلبات لتحقيق طموحه العلمي[١٠١]. ويعد السبب في تراجع الأبحاث والتطوير، هو تدني الإنفاق على البحث والتطوير من الناتج المحلي الإجمالي، حيث بلغت نسبة الإنفاق على الأبحاث والتطوير ، ٠.٢٠٪ في الدول العربية مقارنة مع ٢,٤% في الدول المتقدمة و ١% في الدول النامية، وتتصدر تونس والمغرب الدول العربية في مؤشر نسبة الإنفاق على البحث العلمي والتطوير من الناتج المحلي الإجمالي، حيث بلغت ٠,٦٠% ثم السودان ٠.٣٠٪، والمملكة العربية السعودية ٠،٢٥%، مصر ٠,٢٠.[١٠٢].

وكما هو معروف من أن العقول إن لم تعمل في ميادين البناء والتنمية والإعمار ؛ ستعمل في الهدم ونشر الخراب والدمار، وهذا ما يشهد له واقع بلدان العالم الثالث. ولإعمال العقول في ميادينها كان لابد على الدول من إعادة النظر في واقعها العلمي والمعرفي والعمل على بناء مراكز أبحاث متخصصة في مختلف العلوم والمجالات، تستوع من خلالها عقولها، وتحفظ كيانها ، وتبنى مستقبلها، فإنما هي بهم ما حفظتهم، وتكون بذلك قد عملت على حفظ العقل كمقصد شرعي، وواجب ديني ووطني تمليه عليها الضرورة

(٩٩) انظر : د. عبد المنعم عبد الرحمن محمد هجرة لأدمغة العربية بين الهدر والكسب، مؤسسة الفكر العربي، على www.arabthoughtOorg .
(١٠٠) دليل التنمية البشرية في برنامج الأمم المتحدة ١٩٩٦م - ٢٠٠٢م عرض فريال عثمان الفريح ، معهد الأبحاث العلمية، سلسة الكتاب العربي، العدد (٦٧) يناير ٢٠٠٧ م .
(١٠١) انظر: المعطيات الحضارية، ص ١٨٣.
(١٠٢) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا)، دراسة جدوى التمهيدية لإنشاء مكز الإسكوا للتكنولوجيا من أجل التنمية، نيويورك، ٢٠٠٦ ، ص ٥.

والمصلحة. وما أنفقته الدولة في هذا السبيل يكون له الأولوية في كل الأحوال، تحقيقاً لمقصد شرعي ضروري، وتحصيلاً للمصلحة المترتبة عليه.

٣. حفظ العقل برعاية الإبداع والابتكار وأولوية الإنفاق العام في ذلك.

موقف الشريعة الإسلامية من الإبداع والإبتكار :

الإسلام دين الفطرة، كما أن الإسلام يحترم الطاقات البشرية كلها، فهي هبة الله المنعم الوهاب، لكنه يعطيها أقدارها الصحيحة. لا يبخسها قدرها. ولا يعطيها فوق قيمتها. ويستغلها جميعًا إلى أقصى طاقتها لفائدة المخلوق البشري وصلاح حاله على الأرض. ومن ثم فهو يحترم الطاقة العقلية ويُشجعها، ويربيها لتتجه في طريق الخير . لذلك نجد أن الإسلام يبدأ التربية العقلية بتحديد مجال النظر العقلي، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها[١٠٣].

كما أن الله سبحانه وتعالى لم يضع قيداً على قدرة الإنسان على الإبداع والابتكار، والتجديد والتحديث في أساليب حياته وطرقها، ما دام هذا يتم وفق منهج الله، وهذا الجانب المكتسب من المعرفة هو الشق الثاني من العلم وفق نظرة الدين الحنيف، وهو المخزون الخبري الذي يكشف عنه الإنسان نتيجة لتفاعله مع معطيات حياته، وما ينتقل إليه من الغير. وعليه أن يوظف هذا كله في استنباط حلول مبتكرة لما يواجه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من مشكلات، بما يساعده على عمارة الأرض وتسخيرها لخدمة البشرية جمعاء. وهو في ذلك يعبد الله إن اتبع المنهج الذي حدد الله تبارك وتعالى، أسسه التي أنزلها الله في علوم الوحي[١٠٤].

وكما هو موقف الإسلام من إطلاق الإبداع والتجديد في وسائل الحياة وأساليبها دون خروج على الشريعة ومقاصدها، نجد أن الإسلام يقف الموقف نفسه، من التحفيز والتحريض لأصحاب العقول، لتنمية معارفهم وأفكارهم؛ من خلال الإختراع والإبتكار والتطوير لما يستجد من متطلبات الحياة ومتغيراتها، وبما يخدم التنمية والتعمير للأرض والإنسان. ولا يتم ذلك إلا ببناء بنيان مكتمل الأركان فللعمل المتقدم والمتطور بالاختراع والابتكار أربعة أركان، وهي [١٠٥]:

١. العلم الذي يعتمد على وسائل الاختبار والتجربة والملاحظة والاستنباط، وموقف الإسلام منه كما سبق - موقف التحريض والحث وفتح كل مجالات المعرفة أمام المسلمين الملتزمين بإسلامهم، إلا ما كان من هذه المجالات مزلقاً من مزالق الشر والأذى كالسحر .
٢. التخيل الذي يرتبط به الإبتكار والإختراع، فالتخيل أفق من آفاق البحث العلمي الذي من شأنه أن يتناول الأشياء الموجودة بالدراسة، والأشياء غير الموجودة من الممكنات العقلية بقوة التخيل من جهة، وبمعالجة الأشياء بالتحليل والتركيب، والجمع والتفريق، والامتحان والاختبار من جهة أخرى، وموقف الإسلام من هذا الركن موقف الدفع والتحريض.
٣. اعتبار كل ما تصل إليه القدرات الإنسانية في هذا الكون الواسع الأرجاء مسخراً المنفعة الناس، ومباحاً لهم، وهذا الركن مما أعلنه الإسلام وحرض عليه، باستثناء ما يغلب ضرره على نفعه.

---

(١٠٣) محمد بن قطب بن ابراهيم منهج التربية الإسلامية، دار الشروق (ط ١٦) (د، ت) ص ٧٦، ٧٧.
(١٠٤) محمد احمد شوق، الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، دار الفكر العربي نشر ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م (د، ط) ص ١٤٢ .
(١٠٥) الحضارة الإسلامية أساسها ووسائلها، ص ٣٤١،٣٤٢ .

٤. العمل الذي يرتبط به الإنتاج الصناعي والعمراني والإختراع والإبتكار، وهذا الركن مما حرض عليه الإسلام أيضاً. وبقليل من التأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة نجد أنه قد حرض القدرات الإنسانية على أن تستفيد من كل ما في هذا الكون، وحض على العلم والاختبار والتجربة والاستنباط، والاختراع والابتكار .

علاقة العقل بالإبداع: إن العلاقة بين الإبداع والعقل مترابطة جداً، فالعقل هو الجهاز الذي يُفكر به الإنسان، والتفكير هو محور الإبداع، لذلك فإن العلاقة بينهما قوية كما أن مجالات الإبداع تتنوع بحسب القدرات العقلية المتعددة مثل: "القدرة على الإدراك، والقدرة على التذكر، والقدرة على التخيل، والقدرة على الاستنباط والاستنتاج، والقدرة على التحليل، والقدرة على التركيب، والقدرة على الاستقراء، والقدرة اللغوية، والقدرة العددية أو الحسابية، والقدرة العملية، ونحوها[١٠٦].

ولما كان العقل غريزي ومكتسب، فإن محور عمل التربية يتركز على تنمية العقل المكتسب، من خلال المناهج الدراسية، وأساليب طرق التدريس التي تحرك عقل المتعلم نحو التفكير الجيد البناء، وأن لا يكون أداة للاستماع فقط، فإذا نجحت التربية في هذا استطاعت أن تسهم في تنمية الجوانب الإبداعية لدى المتعلمين[١٠٧]. وهذا يستدعي الحكومات إلى القيام بعمل مراجعة شاملة للنظم التعليمية في كافة المستويات، بالإضافة إلى مراجعة المناهج والمقررات الدراسية؛ بما يضمن جودة التعليم، ويُسهم في التنمية الشاملة. وهذا لن يكون ولا يتحقق إلا بتلبية متطلبات العقل وتنمية الروح الإبداعية ولابتكارية عند الدارسين والمهتمين. كما يتوجب على الدولة إنشاء مراكز أبحاث متخصصة، تستوعب العقول لتنطلق من خلالها في ميادين الإبداع والابتكار، وفي البناء والإعمار، كما تستطيع من خلالها توجيه الأبحاث العلمية بما يخدم ويلبي متطلبات التنمية في المجالات المطلوبة، ويكون الإنفاق العام في هذه المجالات في غاية الأهمية والأولوية.

رعاية العقول بالتربية الإبداعية: إن للتربية الإبداعية أهمية كبيرة في مسيرة التفوق العلمي والاقتصادي، وغير ذلك من المجالات التي تفتقر إليها الدول الإسلامية اليوم وهذا يتطلب بذل جهود كبيرة، وإنفاق أموال طائلة، لرعاية العقول وتنمية الإبداع فيها، وتوليد الإبتكار في حياتها العلمية.

ويعتبر الابتكار من أبرز ثمار التربية الإبداعية، لما فيه من الإختراع غير المسبوق، الذي يتولد عنه تقدماً في المجال الذي كان الابتكار في دائرته، سواء كان في الطب أو الصيدلة، أو في الهندسة، أو في الأنظمة والإبتكار لا يأتي في أغلب الأحوال وأظهرها إلا من أولئك الذين تلقوا تربية نموذجية متفوقة. فيتحقق للأمة من ذلك الجهد المبذول في سبيل رعاية عقولها، وجود فئة من المدعين والمبتكرين في جميع العلوم، بما يخدم جميع المجالات التي تحقق لها قدراً من القوة والنمو والاستقرار، كما يتحقق لها بذلك استقلالها في صناعة قرارها والتحكم بمسارها[١٠٨].

وكما هو معروف أن العقل يمر بمراحل نمو ، كما هو الحال في النمو الجسمي فإن بعض القدرات العقلية المعرفية تصل إلى قمتها خلال الرشد المبكر، وتؤكد البحوث أن المهام التي تتطلب القدرة على إدراك العلاقات المعقدة، تُؤدى بطريقة عالية الكفاءة خلال المراهقة وبداية العشرينات من العمر، كما أن بعض

(١٠٦) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٤م، (د، ط) ص ٤١٩ .
(١٠٧) الحازمي التربية الإبداعية، ص ٤٥٩ .
(١٠٨) انظر : الحازمي التربية الإبداعية، ص ٤٤٤.

القدرات الابتكارية وخاصة تلك التي تتطلب إنتاج أفكار تصل إلى أعلى مستوياتها خلال الرشد المبكر أيضاً [١٠٩].

وتعد خاصية النمو العقلي من أبرز خصائص النمو التي يتميز بها الطالب بمرحلة التعليم العالي. حيث يُلاحظ عليه الميل إلى التفكير الواقعي لما يُعايشه في حياته بدلاً من التفكير المثالي الذي كان يُسيطر عليه خلال فترة المراهقة المبكرة السابقة. و في اختلاف التفكير والمستوى العقلي بين هاتين المرحلتين ما يُمكن عده أحد العوامل الأساسية التي تحث الطالب على بذل المزيد من الجهد .... ومما تتميز به هذه المرحلة في حياة الفرد من حيث النمو العقلي هو بروز القدرات الخاصة لديه أكثر من ذي قبل. لذا تبرز أهمية تشجيع الشباب وحثهم على الإستفادة القصوى من القدرات المتاحة لديهم وذلك في ميدان التقنيات الحديثة التي تعد من أهم سمات العالم المعاصر[١١٠].

ومما سبق يتبين لنا واجب الدولة في رعاية عقول أبنائها، في جميع مراحل التعليم المختلفة، وليكون مدار اهتمامها على العقل وتنمية الجوانب الإبداعية فيه ورعايتها، وتوفير كل متطلبات انطلاقها في ميادين الإبداع والابتكار والإختراع مهما كلفها ذلك من أموال، ويكون ما تنفقه الدولة من أموال في هذا السبيل، في صدارة إنفاقها العام، لما يترتب عليه من نهضتها، واستقلالها واستقرارها، وحفظ عقول شبابها. وهذه مهام جسيمة، تترتب عليها مصالح عظيمة.

أهم معوقات الإبداع

١. الاعتماد على الآخرين: لقد عملت المنظمات الدولية؛ وبالأخص الاقتصادية منها، على تكبيل البلدان النامية والإسلامية بقيود وأغلال واثقة، تمثل ذلك بالاعتماد الكلي عليها، وهذا بدوره قتل روح الإبداع عند أبنائها، وجمد العقول فيها، ثم نتج عن ذلك سلوك هذه الدول نهج التبعية والتقليد الأعمى لبلدان الغرب في الخير والشر، وإن غلب شرها خيرها .

وكما تمثل هذا الاعتماد أيضاً في الإنتاج وإيجاد الحلول، وفي التنظيم، والتخطيط وإعداد البرامج، سواءً كان في مجال التربية والتعليم أو في مجال الإدارة، أو في البحث العلمي، أو في الصناعة، أو التجارة، أو في أي مجال آخر. وهذا يتطلب من المرء المسلم أن يكون ذا بصيرة، غير مقلد للناس في الجهل والسلوك الذي لا يحقق نفعاً. وليس معنى هذا أن ينأى الفرد بنفسه عن الآخرين، ولكن لا يكن فرداً اتكالياً على غيره، ينتظر منهم أن يقدموا له الحلول والإنتاج، بل أن يكون عضواً فاعلاً إيجابياً، يجتهد ويعمل[١١١].

٢. عدم رعاية الموهوبين: ورعاية الموهوبين تعني بذل رعاية خاصة لمن تميزوا بين أقرانهم وزملائهم، وتهيئة الجو العلمي الذي يُساعدهم على تنمية طاقاتهم الإبداعية في مجالات تخصصاتهم. وأما عدم العناية بالموهوبين ورعايتهم فإنه يؤدي إلى وأد طاقاتهم، وربما أدى إلى نزوحهم إلى المجتمعات الغربية، وهو ما يسمى بهجرة العقول البشرية، فقد قدر أحد البحوث أن عدد الأطباء في العاصمة الأمريكية من إحدى الجنسيات العربية يفوق عدد زملائهم في ذلك القطر العربي. وفي المجالات العلمية النادرة هناك ٩٥٠ عالماً من أحد المجتمعات العربية يعز الحصول عليهم لدولة واحدة على مدى عشر سنوات، يعيشون في

---

(١٠٩) آمال صادق، وفؤاد الخطيب، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، (ط٤) (د. ت) ص ٣٦٥.

(١١٠) عبد الرحمن بن عبد الله الزيد التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني عند طلاب التعليم العالي الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، العدد (١٠٣-١٠) السنة (٢٧) ١٤١٦هـ ، ١٤١٧هـ ، ص ٥٣٣ .

(١١١) خالد الحازمي التربية الإبداعية، ص ٤٣٧ .

الخارج، فعدم التشجيع والعناية بأصحاب المواهب قد يؤدي إلى هجرة المبدعين عن الأوطان الإسلامية[١١٢]. ورعاية الموهوبين تكون بالتشجيع والمكافأة، وبالرعاية والعناية الخاصة وتوفير سبل التعلم المتقدمة وتوفير المكتبات والأدوات العلمية، والمدرسين الأكفاء، وتوفيرة المعامل والمختبرات ومراكز الأبحاث العلمية، وكفايتهم مؤونة معيشتهم، وما يحتاجونه من أمور حياتهم المختلفة.

وكل ما سبق يحتاج للقيام به إلى أموال لتغطية احتياجات الموهوبين والمبدعين والمبتكرين، ورعايتهم رعاية خاصة تليق بهم؛ وهذه الأموال تكون لها الأولوية في الإنفاق العام، وذلك لما يترتب عليها من مصلحة عامة ونفع عظيم، تستفيد منه الأمة أجمعها، ولا يقتصر نفعه وإفادته على من قدموه وقاموا به. ولما كان أصحاب العقول الموهوبة، والمبدعة والمبتكرة، ذوو نفع عام، كانوا هم أولى بالرعاية والإهتمام من غيرهم من العوام. وهذا من تمام رعاية مقاصد الشريعة في الأمة، فالناس ليسوا سواء في قواهم وقدراتهم العقلية . وذلك فضل الله يؤته من يشاء من عباده . كما أنهم ليسوا سواء في العلم والحكمة والفهم، وكل ميسر لما خلق له.

٤. حفظ العقل برعاية حرية الرأي والتعبير وأولوية الإنفاق العام فيها. موقف الشريعة من حرية الرأي والتعبير وكفالتها للحريات:

مفهوم حرية التعبير : وهي الحق في أن يعلن الإنسان عن جملة أفكاره وقناعاته التي يعتقد فيها الصواب والصلاح له ولغيره، وهو حق ينتج عن عضوية الإنسان داخل المجتمع الإنساني باعتباره جزءًا منه، ومسئولاً مدعواً إلى الإسهام فيه برأيه وفعله، إثراء للتجربة الإنسانية، وتحصيناً لها من العثرات والنواقص.

كما يتصل بحق الإنسان في الاعتقاد الديني وحرية العبادة، حرية التعبير عن رأيه دون خوف أو وجل. حيث دعا الإسلام المؤمنين للمجادلة بالمنطق والأسلوب الحسن بعيداً عن التهجم والتجريح. وكثيراً ما كانت آيات القرآن الكريم تختتم بعبارة متحدة: [أَفَلا يَسْمَعُونَ] أو أفلا يعلمون] أو [أَفَلا يَعْقِلُونَ] ويبدو منسجماً مع هذا الأسلوب أن يُعبر الإنسان عن فكره بكل حرية، طالما كان يهدف إلى إشاعة الخير، والإصلاح بين الناس، وليس التكليف للمؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا حثاً لهم على المشاركة النشطة في تقويم الإنحراف، ومحاربة الفساد[١١٣]. ولا حد لحرية الرأي والفكر في الإسلام، إلا الحفاظ على أصول الدين وأركان الإسلام وقيمه وحدوده، ورعاية المصالح العامة. فحرية الرأي المنضبطة بضوابط الشرع، تبني المجتمع الإسلامي، وتصحح أخطاءه، وتُبصره بطريق الهداية والفلاح في أموره العامة. ولم تكن حرية الفكر والرأي، مطلقة في أي مجتمع، للذين يخرجون على ما تقرر من أصول الاعتقاد ومكارم الأخلاق مهما كانت معتقداتهم، فالحرية المطلقة هي الفوضى المطلقة[١١٤].

الإسلام دين العقل يبنيه وينميه ويحرره في الأمم السابقة كان العقل يعاني من الحجر عليه من ممارسة الحرية الفكرية والإستقلال في النظر، بل وصل الأمر إلى أن صار فريسة للرق والعبودية، حيث كانت

(١١٢) انظر : خالد الحازمي، التربية الإبداعية، ٤٤١ ، ٤٤٣.

(١١٣) كامل إسماعيل الشريف، حقوق الإنسان والقضايا الكبر ، (بحث مقدم في الندوة العالمية لحقوق الإنسان في الإسلام) المنعقدة في روما - ايطاليا، بتاريخ ١٩/١١/١٤٢٠هـ ٢٥/٢/٢٠٠٠م.

(١١٤) عبدالله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي الإسلام وحقوق الإنسان في الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والإرشاد السعودية، (ط١) ١٤١٩هـ ص ٦٥، ٦٧ .

التقاليد الدينية قد حجرت حرية التفكير واستقلال العقل على البشر. حتى جاء الإسلام فأبطل بكتابه هذا الحجر، وأعتقهم من هذا الرق، وقد تعلم هذه الحرية أمم الغرب من المسلمين[١١٥].

وكما أن الشريعة راعت مشاعر الفرد واحتياجاته في جانب التعبير وإبداء الرأي؛ نجد أنها بالمقابل ألزمته بالإطار العام للجماعة دون خروج عليها، رعاية لمصالح الجميع. لذلك فإن الإسلام لم يغفل عن توجيه عنايته إلى هذا الجانب الهام في حياة الفرد والمجموعة من خلال ما شرعه للفرد من حق الإدلاء برأيه، والاجتهاد بفكره، والتعبير عن إرادته بكل حرية، ما لم تخرج عن مراعاة مصالح المجموعة المعتبرة شرعاً، وفي نصوص الكتاب والسنة شواهد تدعو إلى مشاركة الفرد بتوظيف إمكاناته العقلية والمادية إلى دعم المجموعة وتوطيد أركانها[١١٦].

لذلك نجد أن الشريعة الإسلامية عملت مقاربة دقيقة جداً بين حرية الأفراد، وحرية الجماعة؛ بما يخدم ويُعزز المصلحة العامة للجميع على العكس من الكيانات والمنظمات المهتمة بحقوق الإنسان اليوم. حيث ركزت المجموعة الدولية في الزمن المعاصر، على تأكيد هذا الحق وحمايته من كل أنواع الاعتداء والقهر والتهميش والإقصاء، سواء بتغليب النزعة الجماعية على حساب حق الفرد فيها، أو إطلاق مكامن الفرد إلى الحد الذي يتعالى فيه قراره على قرار المجموعة، فتنعدم الغاية النبيلة من وراء تقرير هذا الحق الأصلي[١١٧].

التفريق بين ما هو رأي واجتهاد في الدين وبين ما هو رأي في غيره: وفي الكلام عن حرية الرأي وجب التنبيه على أمر في غاية الأهمية، وهو عند الكلام عن حرية التعبير وإبدا الرأي؛ يجب التفريق بين ما هو رأي وتعبير عن أمر من أمور الدين، وبين ما هو رأي في غيره. ولإسلام في شأن هذا الحق نظر إلى موضوع الرأي: إما أن يكون أمراً دينياً، أو غير ديني. فإن كان الأمر غير ديني، فلكل فرد أن يبدي رأيه فيه حسبما يراه، ويعرب عنه بالوسيلة الميسورة له، وقد حدث في صدر الإسلام وبعده عدت حوادث تدل على حرية الرأي وإقراره في هذه المواضع من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أشار على المسلمين في بعض الغزوات أن ينزلوا موضعاً معيناً، فسأله الحباب بن المنذر : أهذا منزل أنزل الله؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال الصحابي للرسول : ليس هذا بمنزل[١١٨]. وأشار بإنزال المسلمين منزلا آخر، وتحولوا إليه.

وأما في الأمور الدينية فلكل واحد أن يجتهد فيها . إذا كان من أهل الإجتهاد والنظر. ويرى الرأي الذي يوصله إليه اجتهاده، ما دام اجتهاده في غير موضع النص، ورأيه في حدود أصول الدين الكلية ونصوصه الصحيحة. لذلك نجد أن الإسلام جعل القياس أحد أصوله، ومصدراً من مصادر التشريع فيه، والقياس : هو إلحاق الأشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر، لاستنباط الأحكام التي لم ينص عليها ... وفي هذا الالحاق والاستنباط مجال فسيحل لرأي، وفي جعله مصدراً تشريعياً اعتباراً للرأي وتقريراً له. وكذلك جاء في السنة، أن كل مجتهد مأجور : إن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران فالمثوبة على الإجتهاد - سواء أدى

(١١٥) محمد رشيد رضا القلموني، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت ، (ط١) ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ، ص ١٧٧.
(١١٦) كمال الدين جعيط الإسلام وحقوق الإنسان في ضوء المتغيرات العالمية، ص ١٢، ١٤.
(١١٧) كمال الدين جعيط الإسلام وحقوق الإنسان في ضوء المتغيرات العالمية، ص ١٤ .
(١١٨) ابن هشام، السيرة النبوية دار الجيل بيروت (ط١) ١٤١١هـ ، ٣/١٦٧.

إلى خطأ أو صواب . دليل على تقرير الإسلام للرأي، وإقراره لهذا الحق. ويؤيد هذا ما ورد في كثير من النصوص من ذم التقليد والنعي على المقلدين الذين يهملون عقولهم ولا يُحررونها من أسر التقليد[١١٩].

ومما سبق تبين لنا أن ديننا دين الحرية والأحرار ؛ حرية البناء والإعمار، حرية الاجتهاد والتجديد، حرية إكرام الإنسان وصون كرامته، لا حرية امتهانه وإهانته، كما يُمارسها الغرب اليوم. وإذا ما تأصل مفهوم الحرية في مجتمع ما فسيكون تأصله مطابقاً ومساوياً لمعنى الوجود والحياة، وبدونه تبقى الحياة الإيجابية معطلة، ووجود مثل هذا المجتمع يكون متساوياً مع وجود سقط المتاع من الأشياء[١٢٠].

حرية الرأي والتعبير تجسيد لذات الإنسان واعتبار وجوده: حرية الرأي والتعبير والتفكير في غاية الأهمية في حياة الإنسان؛ بل هي مرتبطة بوجوده وذاته، إذا لا يمكن العيش بدونها، ففيها تنفيس لمشاعره، بل هي انفاس حياته. لذلك يقع على عاتق الدولة رعاية الحقوق وصونها، لكل فرد يعش على ترابها، وصولاً إلى تحقيق الحرية الشخصية والحرية الشخصية هي الحرية الجامعة لجميع الحريات التي يجب أن يتمتع بها لأشخاص. إذ من الأسس التي تبنى عليها النظم الدستورية كفالة حقوق الأفراد والمساواة بينهم في التمتع بها، ولا يخلو قانون أساسي لحكومة دستورية من تقرير الحرية والمساواة وتشريع الأحكام الكفيلة بتحقيقها وصونها. وجميع الحقوق على تعدادها ترجع إلى أمرين عامين: الأول: الحرية الشخصية. الثاني: المساواة بين الأفراد في الحقوق المدنية والسياسية. والمراد من الحرية الشخصية: أن يكون الشخص قادراً على التصرف في شؤون نفسه وفي كل ما يتعلق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه في نفس أو عرض أو مال أو مأوى أو أي حق من حقوقه على أن لا يكون في تصرفه عدوان على غيره. ومن هذا التعريف يتبين لنا أن الحرية الشخصية حرية جامعة لما يجب أن يتمتع به الإنسان في حياته. وفي تأمين الفرد على هذه الحريات كفالة لحريته الشخصية، وهذا ما قرره الإسلام في شأن هذه الحريات العامة وكفالتها[١٢١].

وبذلك تكون كفالة الحقوق والحريات من صلب واجبات الدولة واهتماماتها. إذ الدولة مسؤلة عن كفالة الأفراد والجماعات وضمان حرياتهم. وحماية المجتمع وحراسته[١٢٢]

كما يجب أن تتصدر هذه الحقوق والحريات النصوص القانونية والدستورية للدول. ويكون من الحقوق والحريات العامة التي يجب أن ينص عليها دستور الدولة : لكل مواطن الحق في ممارسة الحياة السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية، والثقافية، والدينية، والحرية الشخصية، وملكيته الخاصة[١٢٣]. وهذه الحرية المكفولة شرعاً والتي يجب ان ترعاها الدولة ليست مطلقة من كل قيد بل هي مقيدة بحدود الشريعة وأصولها الكلية، فهي من منحتها ابتداء لكل يعيش في كنفها واهتدى بهداها، واسترشد بنورها.

الخاتمة

١. ان التوسط في الانفاق،وترشيده يحفظ الدين ومقاصد الشرع المبين ويجنب الوقع في المحظورات والمنكرات والمهالك والمغامرات.
٢. الانطلاق في الانفاق من المقاصد وترتيبه حسب الاولويات يكشف التكامل والارتباط الوثيق بين الخاص والعام،ويكون الانفاق الخاص هو الاساس،والانفاق العام مكمل .

(١١٩) عبد الوهاب خلاف السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، دار القلم، طبع ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م (د، ط) ص ٤٣، ٤٤ .
(١٢٠) د. مصطفى السيد، مقال بعنوان مفهوم الحرية عند الفقهاء المحدثين مجلة البيان، العدد (ط١) ذي الحجة ١٤٠٦هـ ، ص ٣٤، ٣٧ .
(١٢١) انظر : عبد الوهاب خلاف السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية، ص ٣٧ ، ٣٨ .
(١٢٢) أصلح الأديان للإنسان عقيدة وشريعة، ص ١١٥.
(١٢٣) الصلابي، الدولة الحديثة المسلمة، ص ١١١ .

٣. ترتيب الانفاق حسب الاولى والاهم في حياة الافراد،يخفف من العبء المالي على الانفاق العام،وينطلق به نحو الاستثمار والتنمية.
٤. الانفاق حسب الاولويات الشرعية يجسد مقاصد الشريعة في حياة الناس،ويرسي قيمها من تحقيق العدل واعطاء الحقوق لاهلها وتحقيق التكافل الاجتماعي المجتمعي العام والبعد عن الربا والاحتكار والاكتناز.
٥. تنمية الانسان المسلم بالعلوم والمعارف اساس كل تنمية ومنطلقها.
٦. اقامة الحدود الوسيلة الفعالة في حفظ مقاصد الشرع في الحياة .

المصادر

اولا: العربية

- ابن الضياء تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام موقع الوراق ، http://www.alwarrag.com .
- ابن باز الدعوة إلى الله، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ (د، ط) ص ١٦.
- ابن تيمية الاستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، (١) ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م
- ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (١) ١٤١٨هـ .
- ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ، (١) ١٤١٨هـ .
- ابن عابدين محمد أمين : رد المحتار على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار - المشهور ب "حاشية ابن عابدين" - المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٦ هـ ، (د، ط).
- ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، (ط١) ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.
- ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر ، لبنان، ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م (د، ط) .
- أبو الحسن الماوردي، دور السلوك في سياسة الملوك، دار الوطن، الرياض (د، ط) (د، ت).
- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد دار الفكر : بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م،(د، ط).
- أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن المطبعة البهية القاهرة، (د، ط) (د، ت)
- أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر، (٣) ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، (ط ١) (د، ت)
- آمال صادق، وفؤاد الخطيب، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، (ط٤) (د. ت) .
- الأندلسي أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد بن عبدربه المعروف بابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١) ١٤٠٤هـ .
- التخطيط الاقتصادي لقطاع التعليم عبد اللطيف عبد الله رسالة ماجستير في الاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى للعام ١٤١١هـ / ١٩٩١ ، غير منشورة.
- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية عالم الكتب، طبع ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م، (د، ت).
- تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٣م، نحو إقامة مجتمع المعرفة الناشر : برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، (٤) (عمان المطبعة الوطنية (٢٠٠٣م) الفصل السابع: البنية الاجتماعية ولاقتصادية .
- الجاحظ عمر بن بحر : كتاب البلدان مقتبس من مجلة كلية الآداب : نشر صالح العلي، مطبعة الحكومة، بغدد ١٩٧٠م ، ص ٥٠٥؛ وانظر : بطاينة الاقتصاد في العصور الإسلامية الأولى.
- حسين الجعفري، التخطيط المستقبلي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، دار النشر للجامعات، صنعاء (ط١)٢٠١٢م.
- خالد الماجد، التصرف في المال العام وحدود السلطة في حق الأمة، ص ٩١ ؛ ابن سلام، الأموال.
- الخراج وصناعة الكتاب، قدامة بن جعفر بن قدامة دار الرشيد للنشر، ١٩٨١ (د، ط).
- دراسة لمجموعة من الباحثين المعطيات الحضارية لهجرة الكفاءات، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، كتاب الأمة، العدد (١٥٦) السنة (٣٣) رجب ١٤٣٤هـ (١).
- دليل التنمية البشرية في برنامج الأمم المتحدة ١٩٩٦م - ٢٠٠٢م.
- الرملي شمس الدين محمد، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط ٣) ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- زين بن محمد الرماني النوافذ الاقتصادية، دار طويق للنشر، الرياض، (١٥) ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- السرخسي، المبسوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (د، ط) .

- شحاته محمد صقر، شريعة الله لا شريعة البشر، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، (د، ط) ص ٦١ .
- شوقي رافع التعليم والأمن القومي، مجلة العربي العدد (٤٦٥) أغسطس ١٩٩٧م.
- صالح بن غانم السدلان الأثر التربوي للمسجد، موقع وزارة الأوقاف السعودية، بدون بيانات.
- عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٤م، (د، ط).
- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى محمد حميد اتو وزارة الأوقاف، قطر، كتاب الأمة العدد (٥٧) (١) ١٤١٨هـ .
- عبد الرحمن بن حبنكة الدمشقي الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم دمشق (ط١) ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م.
- عبد الرحمن بن عبد الله الزيد التوجيه الإسلامي للنمو الإنساني عند طلاب التعليم العالي الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، العدد (١٠٣-١٠) السنة (٢٧) ١٤١٦هـ ، ١٤١٧هـ .
- عبد العزيز الراجحي، القول البين الأظهر في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مكتبة دار السلام (ط١) ١٤١٢هـ .
- عبد المنعم عبد الرحمن محمد هجرة لأدمغة العربية بين الهدر والكسب، مؤسسة الفكر العربي، على www.arabthoughtOorg .
- عبد الوهاب خلاف السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، دار القلم، طبع ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م (د، ط).
- عبدالله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي الإسلام وحقوق الإنسان في الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والإرشاد السعودية، (ط١) ١٤١٩هـ .
- عبده سعيد عبد إسماعيل التنمية الريفية في الاقتصاد الإسلامي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى، للعام ١٤٢٢هـ ، ص ٤٢٩.
- عصام الجعفري: التطور الاقتصادي في العصر الأموي رسالة ماجستير في الاقتصاد، جامعة أم القرى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- علي الصلابي، الدولة الحديثة المسلمة دعائمها ووظائفها، دار بن كثير للطباعة، بيروت، لبنان، (٢) ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
- فريال عثمان الفريح ، معهد الأبحاث العلمية، سلسة الكتاب العربي، العدد (٦٧) يناير ٢٠٠٧ م .

- كامل إسماعيل الشريف، حقوق الإنسان والقضايا الكبر ، (بحث مقدم في الندوة العالمية لحقوق الإنسان في الإسلام) المنعقدة في روما - ايطاليا، بتاريخ ١٩/١١/١٤٢٠هـ ٢٠٠٠.
- الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر، دار الكتاب العربي، (د، ط) (د، ت) .
- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا)، دراسة جدوى التمهيدية لإنشاء مكز الإسكوا للتكنولوجيا من أجل التنمية، نيويورك، ٢٠٠٦ .
- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملوك، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط) (د، ت).
- محمد احمد شوق، الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، دار الفكر العربي نشر ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م (د، ط) .
- محمد بن سعيد ناجي الغامدي: التخطيط للتنمية الاقتصادية وموقف الإسلام منه، رسالة دكتوراه في الاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى، للعام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- محمد بن قطب بن ابراهيم منهج التربية الإسلامية، دار الشروق (ط ١٦) (د، ت).
- محمد رشيد رضا القلموني، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت ، (ط١) ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف، (٢) ١٩٨٦م.
- مصطفى السيد، مقال بعنوان مفهوم الحرية عند الفقهاء المحدثين مجلة البيان، العدد (ط١) ذي الحجة ١٤٠٦هـ .
- مهمة العلماء، افتتاحية، مجلة البيان، العدد (٤) السنة (الأولى) جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م.
- نظام الدين النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١) ١٤١٦هـ.
- نواف العدواني اقتصاديات التعليم مبادئ راسخة واتجاهات حديثة، الناشر : دار المسيرة، عمان، (١) ١٤٢٤ه ـ٢٠٠٣م (٢) ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧ م
- نواف العدواني اقتصاديات التعليم مبادئ راسخة واتجاهات حديثة، دار المسيرة عمان (ط١) ١٢٤٢هـ / ٢٠٠٣ و (ط ٢) ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧.
- نور الجنيد الإسلام وحركة التاريخ، مطبعة الرسالة، القاهرة (د، ط) (د، ت) .

- نوزاد عبد الرحمن الهيتي التنمية العربية في عالم متغير، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، أوارق الجزيرة (١١) مايو ٢٠٠٩ م.
- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر ، دمشق (ط) (د، ت)

ثانيا: الاجنبية

- Adams (Don): Pitfoll & Priorities in Education in Gove (ed): Dynamics of Economic-Development (Praeger, N. Y., 1964)
- Cairncross: Factors in Economic Development (George Allen & Unwin, London, 1962).
- Myrdal: Asian Drama, Op. Cit. P:1724/ Harbison (Frederick) & Myers (Charles): Education, Manpower & Growth (MC Graw-Hill N. Y., 1964) p: 70.
- Royal Institute Of International Affairs: The Middle East: A Political & Economical - Survey (Oxford Univ. Press, London, 1950)
- Schramm (Wilbur): Mass Media & Development, The Role of Information in the Developing Countries (Stanford Univ. press, California, 1964).
- Villard (H): Economic Development (Holt, Rinehart & Winston N. Y.. 1963) P: 12-1 Lewis: The theory Of Economic grouth: Op, Cit. P:23.